

قولهُ ﷺ: «والشَّرُّ ليسَ إِلَيك»

دراسةٌ عقديةٌ تأصيليةٌ

أ. د. أحمد بن عبد الله بن جمعان

آل سرور الغامدي

أكاديمي سعودي، أستاذ الدراسات العليا بجامعة

الملك عبد العزيز، كلية الآداب

ملخصُ البحث

الحمدُ لله الذي جعل الظلماتِ والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، الحمدُ للهِ الذي إذا أراد شيئًا فإنما يقولُ لهُ كن فيكون، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبدالله خير خلق الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعلى من سار على نهجهم، واقتفى آثارهم.

أما بعد، فإن من أصول الإيمان: أن نؤمن بالقدر كله خيره وشره، وأنه ما من شيء واقع إلا بعلم الله تعالى وإرادته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خلق كل شيء فقدره تقديراً، هذا ما جاءت به النصوص الشرعية، ودلت عليه الفطرة والبراهين العقلية، وآمن به سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من العلماء والأئمة، وخالف في هذا من انحرفت فطرته فضلّ وجاء منكراً من القول وزوراً، واعتقد أن مع الله تعالى خالقًا آخرَ وزعم أن ذلك عدلاً وتنزيهًا، فنسب الخلق لغيره تعالى، وقال: إن العباد يخلقون أفعالهم؛ لأن فيها القبائح والشرور، والله تعالى منزه عن ذلك فأفعاله كلها حسنة، ولو نُسب له خلقُ الشر للزم وصفهُ بهِ، وهذا قولُ فرقةٍ من فرقِ الضلال في تاريخ المسلمين وهم القدرية، وقولهم هذا ليس بدعًا من القول، بل لهم أسلاف سبقوهم إليه، وقالوا بوجود إلهين اثنين أحدهما للخير والآخر للشر، وهؤلاء هم الثنوية المجوسية، فشابهتهم القدرية وقالوا بقولهم، بل زادوا عليهم بأن جعلوا الخالِقين كثيرين، وزعموا

أن قولهم هذا تدل عليه البراهين العقلية، والنصوص الشرعية، ومن ذلك قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»، ولا حجة لهم فيه، بل إن الحديث يدل على خلاف ما يذهبون إليه.

أ. د. أحمد بن عبد الله بن جمعان
آل سرور الغامدي

ahmad_al_soroor@yahoo.com

The saying of the Prophet (sallallahu alayhi wa sallam): "Evil is not from You"
A creedal foundational comparison study

Dr. Ahmed bin Abdullah bin Jam'an Al Suror al-Ghamidi

Saudi Academic, Professor in higher studies at the King Abdulaziz University, the Faculty of Arts.

Abstract

All praise is due to Allah, who made the darkness and the light, then those who disbelieve equate others with their Lord. All praise is due to Allah who whenever he wants something He only say: "Be", and it is. And may Allah exalt the mention and send peace upon our prophet Muhammad, the son of Abdullah the best of all creation. May Allah exalt his mention, and his family, companions and those who pursue their way and follow their path.

To proceed, from the foundations of belief is to believe in everything pertaining to predestination, both the good and the bad, and to believe that everything happens is in accordance to Allah's knowledge and will. Whatever Allah wills happens, and whatever he doesn't want will not happen. He created each thing and determined it with precise determination. This is mentioned in the Islamic texts, and that's what the *Fitra* and

the intellectual evidences indicate. And that's what the predecessors of this *Ummah* like the companions, their students and those who followed their path from the scholars and the imams believed in. The people who had a deviated *Fitra* opposed this and said objectionable statements and falsehood. They believed that there are other creators by the side of Allah and claimed that this was a form of justice and *tanzih* (Doctrine of divine exemption according to which Allah is unique and in no way like anything created). Therefore, they ascribed the attribute of creating to others than Allah, and said: The servants create their own actions, because some of their actions are disgraceful and evil, and Allah is unflawed from that since all of his actions are good, and if he would be described with creating evil, then that would be one of his attributes. This is the statement of one of the deviant sects in the Islamic history who are called *Qadariyyah*. They have not innovated this statement by themselves; rather their predecessors preceded them in that. They said that there are two different gods, one who is for good and the other for evil. That is the religion of dualistic Zoroastrianism and the *Qadariyyah* resembled them and took from their doctrines. They even went further than them by claiming that there are many different creators and stated that their statements are in accordance with the intellectual proofs and Islamic texts. One of the evidences that they use is the statement of the Prophet (PBUH): "And evil is not ascribed to you", but that is not en evidence for them, rather the hadith is an evidence against them.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى، الحمد لله الذي بيده ملكوت كل شيء، وإذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون، والصلاةُ والسلامُ على خاتم الأنبياءِ والمرسلين، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبهِ أجمعين، وعلى من سار على نهجهم واقتفى آثارهم إلى يوم الدين.

أما بعدُ، فإن اللهَ تبارك وتعالى خلق كل شيء وأحسن خلقه، وما من كبيرةٍ ولا صغيرةٍ خارجة عن خلقه وتقديره، وقد أقرَّت كل الأمم بربوبيته، ومن انحرف عن هذا الإقرار فلفسادٍ لَحِقَ بفطرته، ومن هذا الانحراف اعتقادُ أن يكون غير الله تعالى خالقـًا، أو أن ينسب لغيره جل وعلا ما تفرد به، ومن ذلك خلقه تعالى لكل شيء، ولا سبيل لإخراج شيء من هذا العموم إلا بشبهات متهافتة، وهذا ما وقع فيه بعض الطوائف من الأمم السابقة فنسبت الخير لبعض الآلهة، والشر لبعضها الآخر، وإذا سلَّمنا بتناقل الأفكار بين أمم الأرض -مع تغاير صورها أحيانـًا- فإن هذا القول قالت به بعض الفرق في تاريخ المسلمين، وزعم أهلها أن الإنسان يخلق فعله؛ لأن الله تعالى لا يخلق الشر، وأن هذا النفي مقتضى التنزيه، واحتجوا على قولهم هذا بعدة حجج سموها عقلية، كما استدلوا عليه ببعض النصوص الشرعية التي يرون أنها تؤيد قولهم وتدل عليه، ومن ذلك هذا الحديث

المقصود بالدراسة، وفي هذه الورقات بيان للمقصود بنفي نسبة الشر إليه سبحانه وتعالى، مع القول: إنه خالق كُل شيء، والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

❐ الدراسات السابقة:

لا ريب أن هذا الركن من أركان الإيمان قد حظي باهتمام أهل العلم من السلف الصالح ومن تبعهم حتى وقتنا الحاضر، وذلك ببيان الحق الذي يجب فيه، وقد تنوعت الدراسات العلمية في تناول هذا الباب تنوعاً كبيراً، ومن الدراسات العلمية في هذا الباب:

١- القضاء والقدر في ضوء الكتاب السنة ومذاهب الناس فيه، رسالة ماجستير، للدكتور/ عبد الرحمن بن صالح المحمود، بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، في كلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢- مفهوم الشر ومصدره بين السلف والمعتزلة، رسالة ماجستير، بكلية التربية، جامعة الملك سعود، من إعداد الطالب/ حمدان بن محمد الحمدان، إشراف الأستاذ الدكتور/ محمد بن أحمد جلي.

٣- القواعد الكلية في باب القدر في ضوء منهج السلف، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، إعداد الطالب/ ربيع أحمد بيطار، إشراف الأستاذ الدكتور/ صالح بن عبد العزيز السندي.

٤- الشبهات النقلية لمخالفي أهل السنة والجماعة في مسائل القدر عرضـًا ونقداً، رسالة دكتوراة، بكلية الدعوة وأصل الدين، بجامعة أم القرى، للطالبة هند بنت دخيل الله القثامي، بإشراف الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن عمر الدميجي.

٥- جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح الإيمان بالقدر، رسالة دكتوراة، من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية، للدكتور/ تامر محمد محمود متولي، وهي مطبوعة في مجلدين، عن طريق: الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، سنة ١٤٣٢هـ.

إلى غير ذلك من الدراسات المتعلقة بالقدر ومسائله المختلفة.

❐ أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دفعتني للكتابة عن قوله ﷺ: «والشر ليس إليك» ما يلي:

١- أن باب القدر والإيمان به ركنٌ من أركان الإيمان، فالاهتمام بمسائله وبيانها وإزالة اللَّبس والتلبيس الذي يورده أهل الأهواء حولها من أوجب الواجبات.

٢- وجود بعضِ العباراتِ الواردةِ في كلام بعض الناس، كقولهم: إن الله لا يقدر الشر، أو لا يكتب الشر، ونحو ذلك، وهذا إطلاقٌ فيه إيهامٌ، مما يجعل التنبيه والإيضاح للمعنى المقصود من الحديث غايةً ومرامـًا.

٣- أن هذا البابَ وقعَ فيه الانحرافُ وضلتْ فيه بعض الفرق، ولايزال بعض الناس يعتقدون ويتبعون أهل الضلال والأهواء في أقوالهم، سواء تبعوهم في كل آرائهم أم في بعضها وبذات الشبهات، ومن هنا كان الحديثُ عن القدرِ وَفق ما جاءت به النصوصُ الشرعيةُ وقررتهُ = أصلاً من الأصول.

٤- أن المخالفين لأهل السنة والجماعة وما عليه سلف الأمة، استدلوا بهذا الحديث على باطلهم، مع أنه يدل على خلاف مذهبهم، ومن هنا رأيتُ أهمية الكتابة فيه، وفي هذا دلالة على أنه ما من نصٍ يَستدلُ به أهلُ الباطل على باطلهم؛ إلا ويُستدل به على إبطال باطلهم، وبيان فساد قولهم.

٥- أن المخالفين لأهل السنة والجماعة توهموا أن النصوصَ الشرعية التي ذُكر فيها أن الله تعالى خالق كُل شيء = تُناقض النصوصَ التي وردت في إثباتِ نسبةِ أفعالِ العباد إليهم وكون الشر منهم، ومن ثم تعيّنَ بيانُ المرادِ والمقصودِ من هذا النفي.

٦- أن هذه الأفكارَ والآراءَ المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة سبقَ إليها أهلُ الإلحادِ والوثنيةِ من الأممِ السابقة، وهي دخيلةٌ على الأمةِ المسلمة، كما أنها توجدُ ضمنَ الأفكارِ الباطلةِ الوافدةِ في هذا العصر، تحت مسمياتٍ ومصطلحاتٍ جديدةٍ؛ فتعيّنَ التنبيهُ، واللهَ تعالى أسألُ الهدى والرشاد.

وقد جعلت البحث في مقدمةٍ، وعدة مباحث، وخاتمة:

المقدمةُ: تحدثت فيها عن الدراسات السابقة، وأسباب اختيار

الموضوع.

المبحث الأول: نص الحديث والتعريف ببعض المصطلحات.

المبحث الثاني: نشأةُ القولِ بالقدر.

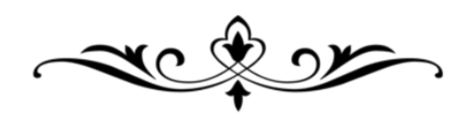
المبحث الثالث: الإيمانُ بالقدرِ خيرهِ وشرهِ والتحذيرُ من المخالفين في مسائلهِ.

المبحث الرابع: أقوالُ الناس في خلق أفعال العباد.

المبحث الخامس: القدرةُ والاستطاعة ومنشأ ضلال القدرية المجوسية.

المبحث السادس: المقصود بنفي الشر عن الله تعالى في قوله ﷺ: «والشر ليس إليك».

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.



المبحثُ الأول

نص الحديث والتعريف ببعض المصطلحات

إن هذه اللفظة المختارة للدراسة من الحديث النبوي وهي: «والشر ليس إليك» جاءت في حديث صح عن رسول الله ﷺ، فعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهتُ وجهي للذي فطرَ السموات والأرضَ حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرتُ وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملكُ، لا إله إلا أنت؛ أنت ربي وأنا عبدك، ظلمتُ نفسي واعترفتُ بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيّئها، لا يصرفُ عني سيّئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخيُر كلهُ في يديكَ، والشرُّ ليسَ إليكَ، أنا بك وإليكَ، تباركتَ وتعاليتَ، أستغفركَ وأتوب إليك»، وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعت، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي، وعصبي»، وإذا رفع قال: «اللهم ربنا لك الحمدُ ملءَ السماوات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئتَ من شيء بعد»، وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، سجد وجهي للذي خلقه وصورهُ، وشق سمعهُ وبصرهُ، تبارك الله أحسن الخالقين»، ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ،



وما أسرفتُ، وما أنت أعلمُ به مني؛ أنت المقدمُ وأنت المؤخرُ؛ لا إله إلا أنت»[١]. والحديث أخرجه غير واحد من الأئمة[٢].

ومن تأمل الحديث الشريف يجد أنه تضمن الإقرار لله تعالى بأنواع

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل، صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٥٧- ٦٠). المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، مصر.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ١٨٣ – ١٨٤) حديث رقم (٨٠٣). أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، بيروت، لبنان. وفي فضائل الصحابة ٢/ ١٧٢ – ١٧٣). حديث رقم (١١٨٨). حققه وصي الله بن محمد عباس، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية. والترمذي، صحيح سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، باب منه، (٣/ ٤٠٦- ٤٠٧). حديث رقم (٣٤٢٢). الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. والنسائي، في سننه (١٤٨). حديث رقم (٨٩٧). حكم على أحاديثه الألباني، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. وابن حبان، صحيح ابن حبان، باب صفة الصلاة (٥/ ٧٠ – ٧١). حديث رقم (١٧٧٢). تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريًا. وأبو يعلى، في مسنده (١/ ٢٥٨). حديث رقم (٥٧٠). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. والبيهقي، في كتاب القضاء والقدر (٢٧٤ – ٢٧٥).حديث رقم (٣٩٧). تحقيق محمد بن عبد الله آل عامر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.

التوحيد الثلاثة، وفيه الإقرار بالافتقار له جل وعلا في كل حين، والبراءة من كل حول وقوة إلا به جل وعلا(١)، والاعتراف له تعالى بالفضل والإنعام، وسؤاله جل وعلا المغفرة عن كل ما يقع أو قد يقع فيه الإنسان، ولا غرابة أن يشتمل هذا الحديث على كل ذلك، ويكون فيه رد على كل مخالف هالك، فإنه ﷺ أوتي جوامع الكلم، ومما ذُكر في الحديث الإيمان بالقدر، فإن الأمور لا تخرج عن هذين الأمرين وهما: الخير، والشر، والله تبارك وتعالى خالق كل شيء، ومما تضمنه الحديث الآتي:

١- الإقرار لله تعالى بالربوبية فهو خالق السموات والأرض، وخلقهما أكبر من خلق الإنسان وأفعاله، وهو تبارك وتعالى أحسن الخالقين.

٢-الإقرار لله تعالى بالألوهية والخلوص من الشرك والوثنية، وأن كل عمل يقع من الإنسان فالأصل فيه أن يكون لله تعالى وحده لا شريك له.

٣-أن الحديث الشريف بدأ بذكر توحيد الربوبية، وتضمن الإشارة إلى بعض الأسماء والصفات، وخُتم بتوحيد الألوهية، مما يجعل كل رأي يخالف الحق، ويزعم قائله أن هذا الحديث يدل عليه، قول باطل بنص الحديث، ولله الحمد والمنة.

---

(١) انظر ما ذكره ابن رجب عن ذلك: شرح حديث لبيك اللهم لبيك (٤٢). تحقيق الدكتور/ الوليد بن عبد الرحمن آل فريان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية.

❑ القدَرُ في اللغة والشرع:

القدر لغة: يقول ابن فارس(1): «القاف والدال والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته. فالقدر: مبلغُ كل شيء. يقال: قدْرُه كذا؛ أي مبلغه. وكذلك القَدَر. وقدرت الشيء أقدِره وأقْدُرُه من التقدير، وقدَّرته أُقدِّره. والقَدْر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القَدَرُ أيضا»(2).

والقدَرُ ما يقدِّره الله عز وجل من القضاء(3). يقول الخليل بن أحمد(4):

---

(1) أحمد بن فارس، أحد علماء اللغة، له العديد من المؤلفات منها: اختلاف النحويين، فقه اللغة، مجمل اللغة، توفي سنة ٣٩٥هـ بالري. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (١/ ٣٥-٣٦). ابن خلكان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م، مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي،. بيروت، لبنان.

(2) مقاييس اللغة (٥/ ٦٢- ٦٣). تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. وانظر: الصحاح (٨٤١). الجوهري، اعتنى به خليل مأمون شيحا، الطبعة الرابعة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٠م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(3) انظر في ذلك: الصحاح (٨٤١)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢٨٥) أحمد بن محمد الفيومي، اعتنى به أحمد جاد، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

(4) الخليل بن أحمد الفراهيدي، إمام العربية في عصره، أحد الأعلام، أخذ عنه سيبويه النحو، والأصمعي وغيرهما، كان دينًا، ورعًا، قانعًا، متواضعًا، متقشفًا، متعبداً، كبير الشأن، ولد سنة مائة للهجرة، ومات سنة سبعين، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء =

«القدرُ: القضاء الموفَّقُ، يقال: قدره الله تقديراً»[١]. والقدْر: الفعل، وهو: التقدير، ولفظُ التقدير يأتي على

وجوه من المعاني[٢]؛ منها: «الجعل والصنع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ [يونس: ٥]؛ أي جعل له، وكذا قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]. والتقدير أيضـًا: العلم والحكمة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [المزمل: ٢٠]؛ أي يعلم...»[٣]. ومنها: التعظيم، ومنه قوله

=

(٧/ ٤٢٩- ٤٣١) الذهبي، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(١) كتاب العين (٣/ ٣٦٥). تحقيق الدكتور/عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وانظر: تهذيب اللغة (م/ ٥ ج ٩/ ٣٨). الأزهري، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٢) «أحدها: التروية والتفكير في تسوية أمر وتهيئته...والثاني: تقديره بعلامات يُقطِّعُه عليها. والثالث: أن تنوي أمرا بعقدِك، تقول: قدرت أمر كذا وكذا، أي نويتُه وعقدت عليه» تاج العروس (١٣/ ٢٠٨). ولمزيد في ذلك، انظر: (١٣/ ٢٠٦- ٢٠٧، ٢١٠). للزبيدي، وضع حواشيه الدكتور/ عبد المنعم خليل إبراهيم، كريم سيد محمد محمود، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وانظر: مشارق الأنوار(٢/ ٢٨٩) القاضي عياض، خرج أحاديثه/ إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. لسان العرب (٥/ ٧٦). لابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان.

(٣) تاج العروس (١٣/ ٢١٠).

تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]؛ أي لم يعظموه حق عظمته، ولم يصفوه بصفته التي تنبغي له تعالى[١].

وتقدير الله الخلق: «تيسيره كلاً منهم لما علم أنهم صائرون إليه من سعادة أو شقاوة كتبت لهم، وذلك أنه علم ذلك منهم قبل خلقه إياهم، وحين أمر بنفخ الروح فيهم، فكتب علمه الأزلي السابق فيهم وقدره تقديراً»[٢].

القدر في الشرع: عُرِّف القدر بعدة تعاريف، وتلازُمها مع التعريف اللغوي ظاهر بيّن، ومن هذه التعريفات: أن القدر هو: «قدرة الله على العباد»[٣].

وقيل: القدر عبارة عما قضاه الله عز وجل، وحكم به من الأمور[٤].

وقيل: القدر تقدير الله تعالى للكائنات قبل حدوثها[٥].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٦٣).

(٢) تهذيب اللغة (م ٥/ ج ٩/ ٣٨). وانظر: لسان العرب (٥/ ٧٤).

(٣) مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابن هانئ (٢/ ١٥٥). تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، طبعة ١٤٠٠هـ، بيروت، لبنان.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٢). ابن الأثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، بيروت، لبنان. دون ذكر لرقم الطبعة. وانظر: لسان العرب (٥/ ٧٤). تاج العروس (١٣/ ٢٠٤). مختار الصحاح (٣٨٥). الرازي، ضبط سميرة خلف الموالي، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. الكليات (٧٠٦).

(٥) انظر: الدرر السنية (١/ ٥١٢). جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، =

وقيل: القدر يطلق على معنين؛ الأول: التقدير؛ أي: إرادة الله عز وجل الشيءَ، الثاني: المقدر؛ أي: ما قدره الله عز وجل[١].

ويفرِّق بعضهم بين القدر والتقدير، بقوله: «التقدير يستعمل في أفعال الله تعالى وأفعال العباد، ولا يستعمل القدَر إلا في أفعال الله عز وجل. وقد يكون التقدير حسناً وقبيحاً[٢]... ولا يكون القدرُ إلا حسناً»[٣].

ومما تحسن الإشارةُ إليه هنا أن بعض أهل العلم يفرقون بين القضاءِ والقدر، فيرون أن القضاءَ سابقٌ على القدر، فالقضاء يعود إلى وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ،

=

١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/ ١٩٨). ابن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ١٩٩٧م، دار ابن الجوزي للطباعة والنشر والتوزيع، الدمام، السعودية.

(١) القول المفيد (٣/ ١٩٨). وانظر: (٣/ ٢٢١ – ٢٢٢). ولمزيد من التعريفات عند المتكلمين. انظر: التعريفات (٢٢٢). للجرجاني، تحقيق: الدكتور/ عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، عالم الكتب، بيروت، لبنان. شرح النووي لصحيح مسلم (١/ ١٥٤). التوحيد (٣٠٧). للماتريدي، حققه وقدم له الدكتور/ فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٢) «يمكن أن يكون في تقدير القبيح حكمة بالغة»، الكليات (٧٠٦). لأبي البقاء الكفوي، تحقيق الدكتور/ عدنان درويش، محمد المصري، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٣) الفروق في اللغة (٣٢٨) أبو هلال العسكري، حققه: جمال عبد الغني مدغمش، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

وأما القدرُ فهو حصول ذلك ووجوده في الأعيان متفرقـًا شيئـًا فشيئـًا، بعد حصول أسباب وقوعه[١]. وبعضهم يرى الأمر على العكس من ذلك، أي أن القدر هو الأصل، والقضاء هو الفصل في الأمر ووقوعه[٢]. وبعضهم لا يرى بينهما فرقـًا، فإذا ذُكر أحدهما دخل فيه الآخر.

وإذا كان القدر إنما يكون في أفعال الله تعالى، فلفظ القضاء يدل على العديد من المعاني بحسب سياق الكلام، ومن ذلك: الخلق، الفعل، الإبرام، العهد، الأمر، الأجل، الفصل، قطع الخصام، المضي، الوجوب، الإعلام، الأداء[٣].

---

(١) انظر عن هذا: التعريفات (٢٢٢). الكليات (٧٠٥ – ٧٠٦). محاسن التأويل (٤/ ٥٤٤) للقاسمي، تحقيق: أحمد بن علي، حمدي صبح، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دون ذكر لرقم الطبعة. وقارن التفسير الكبير(٩/ ١٧٠ – ١٧١) الرازي، مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، بيروت، لبنان.

(٢) انظر في هذا: الفروق في اللغة (٣٢٨). المفردات في غريب القرآن (٤٠٧) للأصفهاني، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٣) انظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١/ ٣٦٠ – ٣٦١) لأبي محمد اليمني، تحقيق الدكتور/ محمد زربان الغامدي، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية. مقالات الأشعري (٩٢–٩٣) ابن فورك، تحقيق وضبط الأستاذ الدكتور/ أحمد عبد الرحيم السايح، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر. الكليات (٧٠٥). الدرر السنية (١/ ٥١٢ – ٥١٣).

ومن المصطلحات التي يُشار إليها هنا مصطلح الخير والشر:

فالخير في اللغة: يبينه ابن فارس بقوله: «الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه. فالخير: خلاف الشر؛ لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه. والِخيرَة: الخيار...ثم يصرف الكلام فيقال رجل خَيِّر وامرأة خيِّرة: فاضلة. وقوم خيار وأخيار...»(١).

والخِيار: خلاف الأشرار، ويقال: رجل خيِّر وخيْر مشدد ومخفف، وكذلك امرأة خيِّرة وخيْرة. قال تبارك وتعالى: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ [التوبة: ٨٨]. جمع خيْرة، وهي الفاضلة من كل شيء، فإن أردت معنى التفضيل قلت: فلانة خيْر الناس ولم تقل: خيْرة، وفلان خيْر الناس، ولم تقل: أخير(٢).

وأغلب كتب اللغة(٣) تذكر أنه لا يقال في أفعل التفضيل هنا أخير، وأشر، إلا أنه ذكرت في بعض الأحاديث على وزن أفعل، فعن أبي سعيد الخدري

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر هذه المعاني في: الصحاح (٣٢٤-٣٢٥)، كتاب العين (١/ ٤٥٥)، جمهرة اللغة (١/ ٧٠٢) لابن دريد، علق عليه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، لسان العرب (٤/ ٢٦٤)، المفردات في غريب القرآن (١٦٨)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٣٩).

(٣) ذكر صاحب لسان العرب أنه يقال: أخير، وأشر. انظر: لسان العرب (٤/ ٢٦٥). وانظر: المصباح المنير (١١١). وفيه: «وهذا أخير من هذا، بالألف في لغة بني عامر، كذلك: أَشَرُّ منه، وسائر العرب تسقط الألف منهما».

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»(١). وقد أشار لهذا النووي(٢).

الخير في الشرع:

الخير في الشرع: ضد الشر، ويقال: «الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل - مثلاً- والعدل والفضل والشيء النافع، وضده الشر. قيل: والخير ضربان: خير مطلق وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال وعند كل أحد...وخير وشر مقيدان وهو أن يكون خيراً لواحد شراً لآخر كالمال الذي ربما يكون خيراً لزيد وشراً لعمرو...»(٣). ولفظ الخير له عدة معانٍ، ويظهر معناه المراد من سياق الكلام الذي ورد فيه.

تعريف الشر في اللغة والشرع:

يقول ابن فارس: «الشين والراء أصل واحد يدل على الانتشار والتطاير، من ذلك: الشر خلاف الخير، ورجل شرير، وهو الأصل؛ لانتشاره

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة، صحيح مسلم بشرح النووي (١٠/ ٨).

(٢) انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٤٠). تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٣) المفردات (١٦٧). وانظر: تاج العروس (م ٦/ ج ١١/ ١٢٨-١٢٩).

وكثرت»(١). ورجل شَرٌّ؛ أي ذو شر، وقوم أشرار، وهذا شَرٌّ من ذاك، والأصل: أَشَرُّ بالألف على أفعل، واستعمال الأصل لغة لبني عامر(٢). ويرى بعضهم أنه لا يقال: أشر، إلا في لغة رديئة(٣).

والشَّرُّ: السوء والفساد والظلم، والجمع: شُرُورٌ، وقوم أشرار: ضد الأخيار(٤).

وفي الشرع: ضد الخير، وهو الذي يرغب عنه الكل(٥).

أو يقال: هو السوء والظلم والفساد، وهو ما يناقض الخير.

وليس كل من فعل الشر شريراً، فقد يظهر لبعض الناس من جهة أنه ضر وشر ويكون فيه الخير، ومن ذلك مثلاً: شرب الدواء مع ما فيه من عدم الاستطابة، وقد يكون التداوي بأكثر من ذلك كالكي، والعمليات الجراحية، ففي ظاهرها شر، ولكن ليس الأمر كذلك.

(١) مقاييس اللغة (٣/ ١٨٠)، وانظر: الصحاح (٥٤١)، وفيه: «ورجل شرير؛ أي: كثير الشر».

(٢) انظر: المصباح المنير (١٨٠).

(٣) انظر: الصحاح (٥٤١).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (م٦/ ج١١/ ١٨٦)، كتاب العين (٢/ ٣٢٠)، المصباح المنير (١٨٠). تاج العروس (١٢/ ٧٧).

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن (٢٦٠)، جمهرة اللغة (١/ ١٠٨).

المبحثُ الثاني

نشأةُ القولِ بالقدر

إن القول بالقدر قول محدَث، وقيل في نشأته عدة أقوال؛ منها: أن أول ما تُكلِّم في القدر عندما احترقت الكعبة[1].

وقال جماعة من أهل العلم[2]: إن أول من تكلَّم بالقدر رجل يقال له:

---

(١) عن الحسن بن محمد قال: «إن أول ما تكلم في القدر، أن طارت شرارة فأحرقت البيت، فقال رجل: كان هذا من قدر الله، وقال آخر: لم يكن من قدر الله...». كتاب القدر (٢٠٧). رقم الأثر (٣٥١). للفريابي، تحقيق: عبد الله بن أحمد المنصور، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، دار أضواء السلف لننشر والتوزيع، الرياض، السعودية. وقال محققه: إسناده صحيح. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (م ١/ج٤/ ٤٨١)، رقم الأثر (١٣٩٢)، تحقيق، سيد عمران، دار الحديث، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، القاهرة، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة.

(٢) يقول الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة: «ولا أعلم أحداً يومئذ يتكلم في القدر غير معبد الجهني، ورجل من الأساورة، يقال له: سِسنويه». المسائل المروية عن الإمام أحمد (١/ ١٤١). جمع وتحقيق الدكتور/ عبد الله بن سلمان الأحمدي، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. وانظر: السنة (٢/ ٢٢). رقم الأثر (٨٩١) لعبد الله بن الإمام أحمد، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وآثاره أحمد بن علي الرياشي، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، دار النصيحة، المدينة النبوية، السعودية. وقال محققه: هذا أثر صحيح. وقال الإمام الأوزاعي: «أول من نطق في القدر: رجل من أهل العراق يقال له: سوسن كان نصرانيـاً فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد». أخرجه اللالكائي (م ١/ج ٤/ ٤٨٢)، رقم الأثر =

«سيسويه» أو «سوسن»، كان نصرانيـاً فأسلم، ثم تنصر، وعنه[١] أُخذت هذه المقولة[٢].

وهؤلاء هم القدرية الأولى: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «يحكون عنهم إنكار العلم والكتاب، وهؤلاء هم القدرية... الذين كانوا يقولون: إن الله أمر العباد ونهاهم، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار حتى فعلوا ذلك، فعلمه بعد ما فعلوه؛ ولهذا قالوا: الأمر أُنُف؛ أي: مستأنف... يعني أنه مستأنف العلم بالسعيد والشقي، ويبتدئ ذلك من غير أن يكون قد تقدم بذلك علم ولا كتاب، فلا يكون العمل على ما قد قدر فيحتذى به حذو القدر، بل هو أمر مستأنف

=

(١٣٩٨). وقال محققه: إسناده صحيح. وقال الإمام البخاري في المعتزلة: «ادعوا أن فعل الله مخلوق، وأن أفعال العباد غير مخلوقة، وهذا خلاف علم المسلمين إلا من تعلق من البصريين بكلام سنسويه، كان مجوسياً فادعى الإسلام، فقال الحسن: أهلكتهم العجمة». خلق أفعال العباد (١/ ٨٧)، تحقيق/ سالم بن أحمد السلفي، محمد السعيد الإيباني، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة.

(١) أخذها عنه: معبد الجهني، وعن معبد أخذها غيلان الدمشقي.

(٢) انظر: الإيمان (٣٦٨)، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق/ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. وانظر ص (٣٠١ -٣٠٢). الفرق بين الفرق (٣٩)، البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. فجر الإسلام (٢٨٢) وما بعدها، عن نشأة القدرية والجبرية، أحمد أمين، الطبعة الحادية عشر، ١٩٧٥م، دون ذكر لدار النشر.

مبتدأ...»[1].

والقائلون بهذا القول هم الغلاة منهم، وقد كفرهم الأئمة[2]، وقالوا بقتلهم إن لم يتوبوا من قولهم، وذكر بعض أهل العلم أن هؤلاء الغلاة انقرضوا[3]، والذين جاؤوا من بعدهم أقروا بتقدم العلم، ولكنهم أنكروا عموم مشيئة الله تعالى وخلقه، وهم بهذا الإنكار ضالون مبتدعون، إلا أنهم في منزلة من الضلال دون منزلة من سبقهم[4]، وهم القائلون: إن الشر ليس

---

(١) الإيمان (٢٩٩).

(٢) سئل الإمام أحمد عمن يقول بالقدر أيكون كافراً؟ قال: «إذا جحد العلم، إذا قال: إن الله عز وجل لم يكن عالمـًا، حتى خلق علمـًا، فعلم، فجحد علم الله عز وجل فهو كافر». السنة والرد على الجهمية (٢/ ٨)، الأثر رقم (٨٧٥)، وقال محققه: هذا أثر صحيح. وانظر: المسائل المروية عن الإمام أحمد (١/ ١٤٢) وما بعدها. وانظر أيضـًا أقواله وأقوال غيره من العلماء في كتاب السنة والرد على الجهمية (٢/ ٩) وما بعدها. ويقول البر بهاري: «من قال: إنه لا يعلم ما كان وما هو كائن؛ فقد كفر بالله العظيم» شرح السنة (٧٦)، تحقيق/ خالد بن قاسم الردادي، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

(٣) انظر ما ذكره النووي في ذلك: شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٥٤)، وفيه: «قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون: الخير من الله، والشر من غيره، تعالى الله عن قولهم». وانظر أيضـًا: فتح الباري (١/ ١١٩)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٤) انظر في ذلك: الإيمان (٣٠٢)، شرح النووي لصحيح مسلم (١/ ١٥٤).

من الله تعالى.

فهذه طائفة ضالة في باب القدر، إذ أثبتوا للعبد اختياراً وقدرة في عمله، وغلوا في ذلك حتى نفوا أن يكون لله تعالى في عمل العبد مشيئة أو خلق، ونفى غلاتهم علم الله به قبل وقوعه. وبإزائها طائفة أخرى وهي: الجبرية الجهمية ومن تبعهم، الذين أثبتوا قدر الله تعالى وغلوا في إثباته حتى سلبوا العبد اختياره وقدرته. وكما ترى فهم طرفان.

أما الطائفة الثالثة فهم الوسط، أهل العدل والحق، أهل السنة والجماعة، من سلف الأمة ومن تبعهم، الذين جمعوا بين الأدلة وسلكوا في طريقهم خير ملة، فآمنوا بقضاء الله وقدره، وقالوا: كل ما كان في الكون من حركة أو سكون أو وجود أو عدم؛ فإنه كائن بعلم الله تعالى ومشيئته، وآمنوا بأن للعبد مشيئة وقدرة، لكن مشيئته مسبوقة بمشيئة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].(١).

ومما يجب التنبيه عليه أن بعض الناس يظن أن هذه الأقوال لم يعد لها

(١) انظر ما ذكره العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/ ١٩٩، ٢٠٥). وانظر: فتح الحميد في شرح التوحيد (٤/ ١٩٠٥) وما بعدها، عثمان بن عبد العزيز التميمي، تحقيق الدكتور/ سعود العريفي، والدكتور/ حسين السعيدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية. وانظر عن الطائفتين: شرح ثلاثة الأصول (١١٦- ١١٧)، محمد بن صالح العثيمين، إعداد فهد ابن ناصر السليمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

وجود الآن، أو أنها انقرضت كما انقرضت القدرية الأولى الغلاة، وهو ظن فاسد، وادّعاء باطل يكذبه الواقع، فهذا حال أتباع فرق الضلال في تاريخ المسلمين، من رام الوقوف على مشابهتهم لأسلافهم من أهل البدع والأهواء فلن يجد كبير عناء، فهم يجاهرون بإقرار هذه الأقوال أو شيء منها، ويستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، فتجد بعضهم يذهب لرأي المعتزلة وينتصر له، ويظهر ذلك إما عن طريق اهتمامهم بما تركوه من كتب، أو عن طريق التأليف المستقل عنهم وعن غيرهم، ويصرحون باعتقادهم، ويقولون: إن العباد هم الذين أوجدوا أفعالهم، وإن الله ليس هو من أوجدها، وليس هو من أحدثها، وليس هو من خلقها[١].

وإذا كان هذا حال أتباع فرق الضلال في تاريخ المسلمين، فإن البلاد الغربية لم تخل من هذا الاتجاه أو ذاك، إما القول بالجبر، وإما القول بالاختيار[٢]، وإن كانت قد ترد بمصطلحات أخرى، كالحتمية، وسلب الإرادة والاختيار، والخضوع لقوانين الطبيعة، كما يقولون، وبالمقابل:

---

(١) انظر: نقد الخطاب السلفي، ابن تيمية نموذجاً (٣٩١)، رائد السمهوري، الطبعة الثانية، ٢٠١٢، دار مدارك للنشر، دبي. وعن مسألة القدر خاصة انظر: المرجع نفسه (٢٧١ – ٣٩١).

(٢) انظر عن ذلك: شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم (٧٦) وما بعدها، الدكتور عبد المتعال الجبري، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، القضاء والقدر(٢١٥-٢١٩)، الدكتور عبد الرحمن المحمود، بمراجعه، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مدار الوطن للنشر، الرياض، السعودية.

القول بالحرية، والإرادة المطلقة للإنسان[١]، ونحو ذلك. والمراد أن الاتجاهين قد وُجدا في الغرب، في فلسفته الحديثة، كما هو الحال عند أصحاب الفلسفات والديانات الوضعية القديمة، التي ورثتها الفلسفة الأوروبية الحديثة باتجاهاتها المختلفة.

ولا ريب أن الأهواء والبدع تنشأ في حال البعد عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وتقديس العقل والوثوق به فيما لا يستطيع الاستقلال بمعرفته وإدراكه، ومن ذلك مسائل أصول الدين، ومنها القدر. يقول أبو المظفر بن السمعاني: «سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من قبل الكتاب والسنة، دون محض القياس، ومجرد المعقول فمن عدل عن التوقيف في هذا الباب، ضل وتاه في بحار الحيرة...وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حد لنا فيه، وأن لا نتجاوز إلى ما وراءه، فالبحث عنه تكلف، والاقتحام فيه تعمق وتهور»[٢].

ويقول البربهاري[٣]: «واعلم -رحمك الله- أن من قال في دين الله برأيه

---

(١) يقول جان بول سارتر: «إن الإنسان لا يستطيع أن يوجد ذاته إلا بإطلاق العنان لرغباته وشهواته، بحيث يفعل ما يشاء ويترك ما يريد، لا يبالي العرف أو الدين». المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (٢١٠). الدكتور/ عبد الرحمن عميرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار اللواء، الرياض، السعودية.

(٢) نقلاً من كتاب: الحجة في بيان المحجة (٢/ ٣٠) للأصبهاني، تحقيق محمد بن محمود أبو رحيم، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. وانظر: فتح الباري (١١/ ٤٧٧).

(٣) الإمام القدوة، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البر بهاري الفقيه. كان قوالاً بالحق، =

وقياسه وتأويله، من غير حجة من السنة والجماعة، فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم؛ فهو من المتكلفين»[١].

فأهل الأهواء والبدع يُعرضون عن الأخبار والآثار، بل يطعنون فيها وينكرونها ولا يقبلونها، وإن أعياهم ثبوتها تعسفوا في تأويلها، ومن كان هذا حاله اتُّهم في دينه. يقول البربهاري: «وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ؛ فاتهمه على الإسلام، فإنه رجل رديء القول والمذهب...»[٢].

وهذا حال القدرية من المعتزلة وغيرهم وأتباعهم، الذين أعرضوا عن الحق واتبعوا أهواءهم، فضلوا عن سواء السبيل، وكذبوا بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ولهذا تظاهرت أقوال أهل السنة والجماعة من السلف ومن تبعهم بالرد عليهم، وبيان الحق في وجوب الإيمان بالقدر كله خيره وشره وذم المنكرين له.

=

داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، مات سنة ٣٢٨هـ، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٠ – ٩٣).

(١) شرح السنة (٩٦– ٩٧).

(٢) شرح السنة (٨١).

المبحثُ الثالث

الإيمانُ بالقدرِ خيرِه وشرِه والتحذيرُ من المخالفين في مسائلهِ

إن الإيمان بالقدر واعتقاد أنه كله من الله تعالى خيره وشره ركن من أركان الإيمان الستة، والنصوص الشرعية صريحة في بيانه وإيضاحه ووجوب الإيمان به، وكذلك جاءت أقوال السلف الصالح وكل من تبع نهجهم تبيّن فرضية الإيمان به وأنه أصل من أصول الدين، وتحذر من الابتداع فيه والقول في مسائله بلا علم. ولا ريب أن هذه المسألة من الظهور والتسليم بما لا يُحتاج معه إلى تتبع جميع النصوص والأقوال فيها، وإنما هذه إشارات حسب ما يقتضي المقام في مثل هذه الأبحاث، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]، وقوله جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٣]، وقوله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧].

وقد أخبر ﷺ أن الإيمان بالقدر خيره وشره من الإيمان، كما جاء في جوابه لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، عندما سأله عن الإيمان: «قالَ: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن

بالقدر خيره وشره قال صدقت»[(١)]. وفي رواية أخرى: «قال يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله، قال: صدقت»[(٢)].

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن الخير والشر كلاهما بقدر الله تعالى، وهذا إخبار منه ﷺ، وهو حق، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وعرشه على الماء»[(٣)].

قال عبد الله[(٤)]: حدثنا رسول الله ﷺ -وهو الصادق المصدوق- قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومـًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكـًا فيؤمر بأربع كلمات ويقال لهُ: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد. ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه فيعمل

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، تعريف الإسلام والإيمان، صحيح مسلم بشرح النووي، (١/ ١٥٧)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، أشراط الساعة صحيح مسلم بشرح النووي. (١/ ١٦٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب القدر، حجاج آدم وموسى صلى الله عليهما وسلم، صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢٠٣).

(٤) ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بعمل أهل النار. ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبقُ عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة»(١).

يقول محمد بن عمر بحرق(٢): «وهذا الحديث أصل في الإيمان بالقدر، ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى قدر الأشياء كلها في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة، وعلى صفات مخصوصة، فهي واقعة على وَفق ما علمها، وعلى حسب ما قدرها، والإيمان بذلك واجب، وعليه أجمع أهل السنة، خلافا للقدرية المبتدعة»(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري والفظ له، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، صحيح البخاري (٢/ ٩٩٣)، حديث رقم (٣٢٠٨). المكتبة العصرية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، بيروت، لبنان. ومسلم، في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه. صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١٩٠-١٩٢).

(٢) محمد بن عمر بن المبارك الحضرمي الشافعي الشهير ببحرق، ولد سنة ٨٦٩هـ/ ومات سنة ٩٣٠هـ، له العديد من المؤلفات منها: مختصر الترغيب والترهيب للمنذري، الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول، عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر. انظر: الضوء اللامع (٨/ ٢٢٠). السخاوي، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وانظر ترجمته في مقدمة كتاب الحديقة الأنيقة (٧-١٠) الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة (٩٢).

شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ [القمر: ٤٨ – ٤٩]»[١].

يقول النووي: «وفي هذه الآية الكريمة والحديث تصريح بإثبات القدر وأنه عام في كل شيء، فكل ذلك مقدر في الأزل، معلوم لله، مراد له»[٢].

وعن طاووس[٣] قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر. وقال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله ﷺ: «كلُّ شيء بقدرٍ، حتى العجز والكيْسُ، أو الكيس والعجز»[٤].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا خلق الله النسمة قال ملك الأرحام معرضاً: أي رب، ذكر أم أنثى؟ قال: فيقضي الله إليه أمره، قال: ثم يقول: أي رب، أشقي أم سعيد؟ فيقضي الله إليه أمره، ثم يكتب بين عينيه ما هو لاقٍ حتى النكبة ينكبها»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢٠٥).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٦/ ٢٠٥).

(٣) طاووس بن كيسان الفقيه عالم اليمن، سمع من جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولازم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدة، وهو معدود في كبراء أصحابه، ولد زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومات سنة ١٠٦هـ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨- ٤٩).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، صحيح مسلم بشرح النووي(١٦/ ٢٠٤).

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨٢). حديث رقم (١٨٦). تحقيق الألباني، الطبعة =

وقد ورد في الحديث أن القدرية مجوس هذه الأمة، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ أنه قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»(١). وهؤلاء القدرية هم الذين يقولون: إن الله تعالى لم يقدر المعاصي(٢)، وجعلوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى(٣). وثبت عن بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين

=

الثالثة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. وقال: صحيح. واللالكائي (م ١/ ج ٤/ ٣٨٢- ٣٨٣). حديث رقم (١٠٥١).

(١) هذا الحديث لا تخلو كل طرقه من مقال، وقد صححه بعض أهل العلم بمجموع طرقه، والحديث أخرجه غير واحد؛ فقد أخرجه: اللالكائي (١/ ٤١٢). رقم (١١٥٠)، وقال محققه: صحيح. وأبو داود في سننه (٧٠٣)، حديث رقم (٤٦٩١)، حكم على أحاديثه وآثاره الألباني، الطبعة الأولى، دون تاريخها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، وقال الألباني: حسن. وابن أبي عاصم (١٤٩)، حديث رقم (٣٣٨). وانظر: حديث رقم (٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢) وحكم الألباني بصحته لمجموع طرقه، انظر المرجع نفسه (١٥١).

(٢) عن «عكرمة بن عمار، قال: سألت يحيى بن أبي كثير من القدرية؟ فقال: الذين يقولون: إن الله لم يقدر المعاصي». شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٤٥٣)، رقم (١٢٩٨)، وقال محققه: إسناده صحيح. وكتاب السنة والرد على الجهمية (٢/ ٢٣)، الأثر رقم (٨٩٢). وقال محققه: هذا أثر صحيح.

(٣) انظر: جامع الأصول (٧/ ٢١٣). لابن الأثير، حقق نصوصه عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

تسمية القدرية بمجوس هذه الأمة(١)؛ «لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين، وهما النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثَنَوية، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله عز وجل والشر إلى غيره، والله سبحانه خالق الخير والشر، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته. وخلقه الشر شراً في الحكمة كخلقه الخير خيراً، فإن الأمرين معاً مضافان إليه خلقاً وإيجاداً، وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلاً واكتساباً»(٢).

والمقصود أن النصوص الشرعية جاءت بإثبات القدر، وأن الله تعالى هو الخالق لكل شيء، الخير والشر، لا خالق غيره، ولا رب سواه، فعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «إن الله خلق كل صانع وصنعته»(٣).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة متظاهرة بإثباته، ووجوب الإيمان به، وأنه من الله تعالى خيره وشره، ولأجل ذلك جاءت أقوال الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى القول بإثباته، والدعوة إلى الإيمان به، والتحذير من القول فيه بغير علم.

---

(١) انظر: كتاب السنة والرد على الجهمية (٢/ ١٠٣- ١٠٤). الأثر رقم (١٠٠٨، ١٠١٠).

(٢) معالم السنن (٤/ ٧٧). تحقيق/ سعد بن نجدت عمر، شعبان العودة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان. وانظر: المرجع نفسه (٤/ ٨١).

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٣٣). رقم (٩٣). وانظر (٩٢). وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٥٨). حديث رقم (٣٥٧). وقال الألباني: صحيح. وانظر رقم (٣٥٨). المرجع نفسه، ذات الصفحة.

ومما جاء عنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعمّن تبعهم بإحسان: ما قاله عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عندما سئل فقيل له: «أبا عبد الرحمن إنهُ قد ظهرَ قَبلنا ناسٌ يقرؤون القرآن، ويتقفرون[١] العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدَرَ وأن الأمر أُنُفٌ، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وأنهم برآءُ مني، والذي يحلفُ به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثلَ أحدٍ ذهباً فأنفقه ما قَبِلَ الله منه حتى يؤمن بالقدر...»[٢].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك»[٣]. وقال طاووس لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يا أبا عباس، الذين يقولون في القدر؟ قال: أروني بعضهم، قلت: تصنع ماذا؟، قال: إذاً أضع يدي في رأسه، وأدق عنقه»[٤].

وكذلك كانت أقوال التابعين وأتباعهم ومن جاء بعدهم تدل على الإقرار بالقدر والإيمان به، خيره وشره، وذم القدرية وهجرهم، والنهي عن مجالستهم[٥]، ونفيهم من ديار المسلمين، وتكفيرهم، والقول باستتابتهم،

---

(١) أي يطلبونه ويتتبعونه. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ١٥٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، إثبات القدر (١/ ١٥٥ – ١٥٦). صحيح مسلم بشرح النووي. اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٣٧٨). رقم (١٠٣٨)

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٣٤). رقم (٩٦). وقال محققه: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه: الفريابي (١٧٦). الأثر رقم (٢٦٢). وقال محققه: إسناده صحيح. وانظر الأثر رقم (٢٦٣، ٢٦٤).

(٥) كان «الحسن ينهى عن مجالسة معبد الجهني ويقول: لا تجالسوه فإنه ضال مضل». =

وإن لم يتوبوا فيعرضون على السيف، وكذلك روي عنهم منع الصلاة خلفهم، أو التزويج إليهم، أو أكل ذبائحهم(١)، وما ذلك إلا لشناعة قولهم، وسوء ما أحدثوه من الباطل، وحصر أقوال العلماء فيهم لا يتم إلا بكلفة ومشقة، ومما جاء عنهم: قول الحسن البصري(٢): «من كفر بالقدر، فقد كفر بالإسلام، ثم قال: إن الله خلق خلقا، فخلقهم بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء بقدر، والعافية بقدر»(٣). وسئل أيضـًا: «يا أبا

=

اللالكائي (١/ ٤١٠). رقم (١١٤٢). وقال محققه: إسناده صحيح. وانظر: كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (٢/ ١٠٦) وما بعدها: ما قاله العلماء في عمرو بن عبيد.

(١) انظر على سبيل المثال: السنة والرد على الجهمية (٢/ ٦) وما بعدها. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٤٥٧) وما بعدها: أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (١/ ١٢٩) وما بعدها. جمع ودراسة وتحقيق: عبد العزيز بن عبد الله المبدل، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار التوحيد للنشر، الرياض، السعودية. وعن أقوال التابعين في ذم القدرية والتحذير منهم. انظر: أقوال التابعين في مسائل التوحيد (١/ ٣٧٠) وما بعدها.

(٢) الحسن بن أبي الحسن يسار، ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان زاهداً، عالمـًا بالحلال والحرام، مات سنة ١١٠هـ. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ١١٤-١٣٢) لابن سعد، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) أخرجه الفريابي في القدر (١٨٨)، الأثر رقم (٢٩٥)، وقال محققه: إسناده صحيح. والآجري في الشريعة(٢١٢). الأثر رقم(٢٢٨)، تحقيق ياسر برهامي، دار البصيرة، الإسكندرية، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. اللالكائي (١/ ٤٤١). وقال محققه: إسناده صحيح. وابن بطة في الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة (٢/ ٢٦٢). تحقيق وتعليق الدكتور/ رضا بن نعسان معطي، المكتبة الفيصلية،

=

سعيد من خلق الشيطان؟ فقال: سبحان الله! سبحان الله! وهل من خالق غير الله؟! ثم قال: إن الله عز وجل خلق الشيطان، وخلق الشر، وخلق الخير ، فقال رجل منهم: قاتلهم الله، يكذبون على الشيخ: [1].

وعن مالك بن أنس[2]، عن عمه[3] ، قال: «كنت أسيرُ مع عمر بن عبد العزيز، فقال: ما رأيك في هؤلاء القدرية؟ فقلت: رأيي أن تستتيبهم، فإن قبلوا، وإلا عرضتهم على السيف. فقال عمر بن عبد العزيز: وذلك رأيي. قال مالكٌ: وذلك رأيي»[4].

=

١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، مكة المكرمة، السعودية. دون ذكر لرقم الطبعة. وانظر: أقوال التابعين (١/ ١٣٧). الأثر رقم (٩٤). وقال: إسناده صحيح.

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (٢/ ٨٩ – ٩٠). الأثر رقم (٩٩٢). وقال محققه: أثر صحيح. وأخرجه الأصبهاني من طريق عبد الله بن أحمد، الحجة في بيان المحجة (٢/ ٧٦).

(٢) الإمام الحجة الثقة الفقيه الثبت الورع مالك بن أنس، ولد سنة ٩٣هـ، ومات سنة ١٧٩هـ. انظر عن ترجمته: ترتيب المدارك (١/ ١٠١) وما بعدها. للقاضي عياض، تحقيق الدكتور/ علي عمر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

(٣) هو أبو سهيل نافع بن مالك.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٤٨١). الأثر رقم (٢٦٢١). حققه وخرج أحاديثه الدكتور/ بشار عواد معروف، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار الغرب الإسلامي، تونس. والفريابي في كتاب القدر (١٧٩). الأثر رقم (٢٧٣). وقال محققه: إسناده صحيح. وانظر الأثر رقم (٢٧٥ – ٢٧٨). وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١/ ٨٨). رقم الأثر (١٩٩). وقال الألباني: إسناده صحيح. وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة والرد على الجهمة (٢/ ٩٩). الأثر رقم (١٠٠٢). وقال محققه: أثر صحيح. وكذا الأثر رقم

=

وقال: «ما أضلَّ من كذب بالقدر، لو لم يكن عليهم فيه حجة إلا قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: ٢] لكفى بها حجة»(١).

وقال: «لا يصلى خلف القدرية»(٢). وسئل عن تزويج القدري، فقال: «﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾ [البقرة: ٢٢١]»(٣).

وكذلك يقولون بوجوب الإيمان بالقدر كله خيره وشره، لا يفرقون بين ذلك، حلوه ومره، وأنه كله من الله تعالى.

يقول الإمام أحمد بن حنبل(٤): «ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره، وحلوه ومره من الله»(٥). ويقول: «والمعاصي كلها بقضاء وقدر من غير أن

= (١٠٠٣). وانظر: الأثر رقم (١٠٠٤). والآجري في الشريعة (٢٢١)، الأثر رقم (٢٧٧). وأخرجه اللالكائي (١/ ٤٥٩).

(١) أخرجه الفريابي في كتاب القدر (١٨٦)، الأثر رقم (٢٩١). وقال محققه: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه الفريابي في كتاب القدر (١٥٥)، رقم الأثر(٢٢١). وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨٨)، الأثر رقم (١٩٨). وقال الألباني: إسناده صحيح. وأخرجه اللالكائي (١/ ٤٧٢). وقال محققه: إسناده صحيح. ولمزيد من الأقوال: انظر المرجع نفسه (١/ ٤٥٧ – ٤٦٨).

(٤) هو الإمام حقـًا، وشيخ الإسلام صدقـًا، الحافظ، الحجة، الزاهد، قال عنه الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل، ولد سنة ١٦٤هـ، ومات سنة ٢٤١هـ. انظر عن ترجمته: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧ – ٣٥٨).

(٥) العقيدة للإمام أحمد بن حنبل (٦٢)، دراسة وشرح وتحقيق: عبد العزيز عز الدين =

يكون لأحد من الخلق على الله حجة، بل لله الحجة البالغة على خلقه»[١].

ويقول: الإسماعيلي[٢]: «ويقولون: إن الخير والشر والحلو والمر بقضاء من الله عز وجل أمضاه وقدره، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعـًا، إلا ما شاء الله»[٣].

ويقول البربهاري: «ومن قال: المقادير كلها من الله عز وجل خيرها وشرها، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية، أوله وآخره، وهو صاحب سنة»[٤].

ويقول المزني[٥]: «الخلق عاملون بسابق علمه، ونافذون لما خلقهم له

=

السيروان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا. وانظر: المسائل المروية عن الإمام أحمد (١/ ١٣٨). وقارن: كتاب الاعتقاد (٣١) لأبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى، تحقيق وتعليق الدكتور/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

(١) العقيدة للإمام أحمد (٧٤).

(٢) الإمام الحافظ الفقيه أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي الشافعي، له تصانيف تدل على علمه في الفقه والحديث، منها: مسند عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والمستخرج على الصحيح. انظر عن ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٩٢-٢٩٦).

(٣) اعتقاد أهل السنة (٤٢). تحقيق/ جمال عزون، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

(٤) شرح السنة (١٢٣).

(٥) الإمام العلامة، فقيه الملة، علم الزهاد، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل

=

من خير وشر، لا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعـًا، ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعـًا»[١].

ويقول الآجري[٢]: «فإن المؤمنين قد علموا أن قلوبهم بيد الله، يزيغها إذا شاء عن الحق، ويهديها إذا شاء إلى الحق، ومن لم يؤمن بهذا كفر»[٣].

والمقصود أنه مضت سنة الأولين من السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان إلى إثبات القدر حسب مقتضى النصوص الشرعية، وأنه كله من الله تعالى خيره وشره، وأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى[٤]، وذم من أنكره، أو جاء بأمر مخالف في مسائله[٥].

=

المزني، تلميذ الشافعي، ولد سنة ١٧٥هـ،ومات سنة ٢٦٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٢-٤٩٧).

(١) شرح السنة (٧٦). دراسة وتحقيق جمال عزون، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، السعودية.

(٢) الإمام المحدث القدوة أبو بكر محمد بن الحسين، كان دينـًا ثقة، له تصانيف، مات بمكة سنة ٣٦٠هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٩)، رقم الترجمة (٨٨٨)، الذهبي، وضع حواشيه زكريا عميرات، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) الشريعة (١٦١).

(٤) انظر عن هذا على سبيل المثال: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٣٣٧) وما بعدها. و(١/ ٤٢٦) وما بعدها. كتاب القضاء والقدر للبيهقي: (١٦٥) وما بعدها. أقوال التابعين (١/ ٤٣٩) وما بعدها.

(٥) انظر على سبيل المثال: القضاء والقدر للبيهقي (٢٩٧- ٣٣٠). الآثار من رقم (٤٦١- ٥٧٣).

المبحثُ الرابع
أقوالُ الناس في خلق أفعال العباد

إن هذه المسألة تعد من أكثر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين سائر الطوائف المخالفة في تاريخ المسلمين، وهي متعلقة بالخلق والمشيئة، وكذا بأفعال العباد وقدرتهم. وقد اختلفوا فيها إلى عدة أقوال، وهذا ملخص لأهمها:

قولُ الجهمية:

قالوا إن العبد مجبور على فعله، وأنه لا إرادةَ له ولا اختيار، وسُمي هؤلاء الجبرية، وهم القائلون: «ليس للعباد في أفعالهم وأعمالهم صنعٌ، وإنما يضاف إليهم ذلك كما تضاف حركة الشجرة إذا حركتها الريح إلى الشجرة، وليست لها حركةٌ وإنما حركتها الريح، وكما يضافُ طلوعُ الشمس إلى الشمس وليس لها فعلٌ وإنما أطلعها الله، وكذهابِ الحجر إذا رمي به وليس له عملٌ، وإنما ذهب بدفع دافعٍ. وقالوا: لو جاز أن يكون فاعلٌ غير الله جاز أن يكون خالقٌ غيره. وقالوا: لا ثواب ولا عقاب، وإنما هما طينتان خلقتا إحداهما للنار وأخرى للجنة»[1].

---

(١) التبصير في الدين (١٦٩-١٧٠). الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، عالم الكتب، بيروت، لبنان. وانظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨). لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر. الفرق بين الفرق =

فهم يرون أنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله تعالى، وأن الناسَ إنما تنسبُ إليهم أفعالهم على سبيل المجاز، وإلا فلا استطاعة لهم، بل هم مضطرون مجبورون على أفعالهم، والأفعال تُخلق فيهم على حسب ما يُخلق في سائر الجمادات، وهم الجبرية الخالصة[١].

قول النجارية[٢]:

يذهب النجارية إلى القول بأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، وأن العبد مكتسب لفعله «وأنه لا يكون في ملك الله سبحانه إلا ما يريده، وأن الله سبحانه لم يزل مريداً أن يكون في وقته ما علم أنه يكون في وقته، مريداً أن لا يكون ما علم أنه لا يكون... وأن المؤمن مؤمنٌ مهتد وفقه الله سبحانه وهداه، وأن الكافر مخذول، خذله الله سبحانه وأضله، وطبع على قلبه، ولم

=

(٢١١). أصول الدين (١٣٤) للبغدادي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، تحقيق/ لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

(١) انظر في ذلك: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، الفرق بين الفرق (٢١١). الملل والنحل(١/ ٨٦) للشهرستاني، تحقيق: محمد بن فتح الله بدران، أضواء السلف. أصول الدين (١٣٤)، و(٣٣٣). وانظر: الصواعق المرسلة (٣/ ٩٣١) ابن القيم، حققه وخرج أحاديثه الدكتور/ علي بن محمد الدخيل الله، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

(٢) أتباع الحسين بن محمد النجار، مات سنة ٢٢٠هـ، له كتب منها: المخلوق، القضاء والقدر، الثواب والعقاب. انظر الأعلام (٢/ ٢٥٣). للزركلي، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

يهده، ولم ينظر له، وخلق كفره، ولم يصلحه، ولو نظر له وأصلحه لكان صالحاً»[١].

وكان يقول النجار: إن المقتول يقتل بأجله، والميت يموت بأجله، كما أنه يقول بالإرجاء، وبهذا يظهر مفارقته للمعتزلة، إلا أنه في التوحيد يقول بقولهم – كما يذكر الأشعري[٢]- إلا في باب الإرادة والجود[١]. كما أنه

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٠- ٣٤١). وانظر: التبصير في الدين (١٠١). كيد الشيطان لنفسه (١٩٤).

(٢) علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، إليه تنسب الطائفة الأشعرية، ولد سنة ٢٦٠هـ، وقيل غير ذلك، ومات سنة ٣٢٤هـ، وقيل غير ذلك، له عدة مصنفات، منها: اللمع، الإبانة، الموجز، رسالة إلى أهل الثغر. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٣٥-١٣٦). وقد عاش قرابة أربعين سنة على مذهب الاعتزال، فمن الله تعالى عليه بالعودة إلى مذهب أهل السنة، وقد أخبر هو عن نفسه بذلك في مقدمة كتابه الإبانة الذي يعد من آخر ما كتب، وفيه: «قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم». الإبانة (١/ ٢٠-٢١). تحقيق الدكتورة/ فوقية حسين محمود، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، دار الأنصار، مصر. قلتُ: ولا ريب أن بعض المسائل بقيت عند أبي الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ غير دقيقة، ولم يوافق عليها من قبل علماء أهل السنة والجماعة، ومن ذلك مسألة الكسب في باب القدر الذي هو محور هذه =

وافقهم في نفي الصفات الوجودية، والرؤية بالأبصار[2]. والأشاعرة يرون أن النجارية توافقهم في خلق أفعال العباد، على أنهم هم أهل السنة!!. يقول البغدادي: «أما قولهم في خلق أفعال العباد، وفي أن الاستطاعة مع الفعل، وفي أنه لا يكون إلا ما أراد الله تعالى... فكقول أهل السنة سواء»[3].

قول الضرارية[4]:

يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة، وجوزوا حصول فعل لفاعلَيْن، أحدهما خلقه، وهو الله تعالى، والآخر اكتسبه، وهو العبد، وأن الله تعالى فاعل لأفعال العباد حقيقة، وهم فاعلون لها في الحقيقة[5]. وهذا مما فارقت فيه الضراريةُ المعتزلةَ. ويرى شيخ الإسلام أن الضراريةَ والنجارية: «يقربون من جهم في

=

الدراسة.

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٢).

(٢) انظر: كيد الشيطان (١٩٤). ضمن مجموع.

(٣) أصول الدين (٣٣٤). وانظر: الفرق بين الفرق (٣٠٨). وفيه: «فالذي وافقوا فيه أصحابنا قولهم معنا بأن الله تعالى خالق أكساب العباد، وأن الاستطاعة مع الفعل، وأنه لا يحدث في العالم إلا ما يريده الله تعالى».

(٤) أتباع ضرار بن عمرو. من كبار المعتزلة، خالف المعتزلة في أمور فكفروه، قيل إنه صنف نحو ثلاثين كتاباً، مات سنة ١٩٠هـ، انظر: الأعلام (٣/ ٢١٥).

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٩). الفرق بين الفرق (٢١٤). الملل والنحل (١/ ١٤٣). التبصير في الدين (١٠٥).

مسائل القدر والإيمان»[١]. قلتُ: ولا غرابةَ أن يرى الأشاعرةُ قربَ هؤلاء منهم؛ لقرب الأشاعرة من الجهمية في مسألة القدر، وإن كانوا دونهم.

قولُ المعتزلة:

يذهبُ المعتزلةُ إلى أن أفعالَ العبادِ ليست مخلوقة لله تعالى، بل هم خالقون لأفعالهم، وهذا القول صرَّح به المعتزلة في كتبهم، ويقوم على إنكار الإرادةِ والخلقِ، يقول القاضي عبد الجبار[٢]: «وإذ قد فرغنا من بيان أقسام الفعل وما يتصل به، نعود إلى الدلالة على أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم هم المحدثون لها»[٣].

ومن أصول المعتزلة: العدل، ويقصدون به أن أفعاله تعالى «كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يخل بما هو واجب عليه»[٤]. ويقولون: إذا نظرنا إلى أفعال العباد وجدنا فيها الشر، والقبيح، والظلم. يقول القاضي: إن «أحد ما يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقاً لأفعال العباد، هو أن في أفعال العباد ما هو ظلم وجور، فلو كان الله تعالى خالقاً لها لوجب أن يكون

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٢).

(٢) القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، شيخ الاعتزال، كان شافعي المذهب، مات سنة ٤١٥هـ. انظر: شذرات الذهب (٣/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٣) شرح الأصول الخمسة (٣٣٢). تحقيق الدكتور/ عبد الكريم عثمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر. وانظر: ما بعدها. وانظر: (٧٧١، ٧٧٨-٧٧٩).

(٤) شرح الأصول الخمسة (١٣٢).

ظالمـًا جائراً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»[١].

ويقول: والشر «لا يكون إلا ضرراً قبيحـًا»[٢]. فلو قيل: إن الله تعالى هو خالق أفعالهم لوصف بذلك، ونسب إليه، يقول القاضي في شيوخه: «ومنها ما ألزموهم من القول بأنه تعالى إذا كان قد فعل الشر كله، أن يكون شريراً؛ لأن الشرير من كثر الشر منه... وإذا كان تعالى، عندهم، هو الفاعل لكل شر، فهو بهذه التسمية أحق»[٣]. ويقول: «ولو كان ما يفعله يوصف بذلك في الحقيقة، لوجب أن يكون موصوفـًا منه بأنه شرير، وبأنه شر الأشرار، وهذا كفر من قائله، وهذا أحد ما يدل على أن الشر الواقع من العباد ليس من قبله، وإلا وجب كونه موصوفـًا بما ذكرناه»[٤]. وعلى هذا رتب المعتزلة قولهم: إن العباد يخلقون أفعالهم، وزعموا أن الدلائل العقلية تؤيد ذلك، ونصوص الكتاب والسنة تدل عليه، وكان من بين الأخبار التي استدلوا بها، قوله ﷺ:

(١) شرح الأصول الخمسة (٣٤٥). وانظر: ما بعدها. وعن تنزه الله تعالى عن فعل القبيح والظلم والجور، كما يقولون ليصلوا إلى قولهم: إن الله تعالى ليس بخالق لأفعال العباد. انظر على سبيل المثال: متشابه القرآن، (١/ ٩٦-٩٧، ٢٧٣، ٢٧٧، ٣٢٤، ٢،٣٦٤/ ٤٦٣-٤٦٤، ٤٧٠، ٤٧٨-٤٧٩، ٤٨٤-٤٨٥، ٥٠٠-٥٠١، ٥١٥، ٥١٧، ٥٤٢، ٥٤٤، ٥٤٩). للقاضي عبد الجبار، تحقيق الدكتور/ عدنان محمد زرزور، دار التراث، القاهرة، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٢) متشابه القرآن (١/ ١٩٨).

(٣) المغني (٨/ ٢٥٥). تحقيق: الأب ج. ش. قنواتي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٤) متشابه القرآن (٢/ ٥٠٠).

«والشر ليس إليك»؛ فيرى المعتزلة أن الشر لا ينسب لله تعالى، ومن ثم فإنه لم يخلقه، يقول القاضي: «فنفى أن يكون الشر إليه، ومن عنده»[١]. كما حكى علماء أهل السنة وغيرهم من أهل الكلام، كلام المعتزلة هذا[٢]، وما لزمهم والتزموه من اللوازم الباطلة، والآثار الفاسدة بسببه[٣].

معتزلة العصر: وأما القائلون بهذا القول -وهو أن أفعال العباد ليست مخلوقة- من المعاصرين؛ فيظهر ذلك إما عن طريق إخراجهم لكتب المعتزلة وتأييدهم لما فيها[٤]، وإما لما يكتبونه ابتداء ويؤيدون فيه هذا القول

---

(١) المغني (٨/ ٢٦٤). وانظر: المرجع نفسه (٨/ ٢٤٨). متشابه القرآن (٢/ ٤٥٢).

(٢) انظر: التبصير في معالم الدين (١٦٧). للطبري، تحقيق وتعليق علي بن عبدالعزيز الشبل، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، دار العاصمة، الرياض، السعودية. طريق الهجرتين (١٤٤) ضبط نصوصه جمال مرعشلي، الطبعة الأولى،١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان. مقالات الإسلاميين (١/ ٢٩٨ - ٢٩٩). الفرق بين الفرق (١١٤ - ١١٥). وانظر ما بعدها.

(٣) انظر على سبيل المثال: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٩٩) وما بعدها. ومما ذكره على سبيل المثال: أقوالهم في الاستطاعة، والقدرة هل هي قبل الفعل أم بعده، وهل للإنسان قدرة على ضد ما فعله، وهل هي جنس واحد، وهل هو قادر على ما يخطر بباله، وهل يعجز القادر، وهل القادر يقدر على ما هو أكثر منه، إلى غير ذلك.

(٤) مثل: الدكتور عدنان زرزور وهو محقق كتاب متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ويرى أن فكر المعتزلة شوه عن طريق الأشاعرة، ولم يستثن هذا الرجل مذهب السلف من قوله: : ولا تخلو فرقة واحدة من الغلو في جانب، والتفريط في جانب آخر». مقدمة تحقيق متشابه القرآن (٤) وذكر أنه رجع لكتب المعتزلة «الخاصة بهم، تحريا للدقة، ورفعـًا لظلامة ركبت المعتزلة قرونـًا متطاولة، كانت آراؤهم فيها تؤخذ من =

ويزعمون نقد وردّ مذهب أهل السنة والجماعة وما كان عليه سلف الأمة[١]، وهم أتباع مردّدون لما قاله أسلافهم من المعتزلة وغيرهم من أهل الأهواء، بذات الشبهات والآراء.

قولُ الإمامية الرافضة:

يرون أن الله تعالى لا يفعل القبيح، ولا يخلق إلا الحسن، ففي شرح توحيد الصدوق: «والله لا يفعل القبيح والشر ولا معاصي العباد»[٢].

وذكر أبو الحسن الأشعري أنهم ثلاث طوائف، ففرقة منهم قالت: إن

=

كتب خصومهم». المرجع نفسه (٦٧). وكذلك الدكتور عبد الكريم عثمان في تقديمه لكتاب شرح الأصول الخمسة، وهو محقق الكتاب. حيث ذكر دفاع المعتزلة عن عقيدة التوحيد ورفضهم «أن يتحول القول بوحدانية الله [تعالى] إلى نوع من التجسيم، يعود بالمسلمين إلى وثنية جديدة» ص (٣٥). قلتُ: والتجسيم الذي تنفيه المعتزلة إنما يقصدون به نفي صفات الكمال الثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله، فأي وثنية قصدها الدكتور؟!!. انظر: مقدمة شرح الأصول الخمسة (٢٥ – ٣٥).

(١) مثل صاحب كتاب نقد الخطاب السلفي ابن تيمية نموذجاً. وما يخص مسألة القدر، القسم الثالث، من ص(٢٧١- ٣٩١). وهو تكرار لشبهات المعتزلة. وأوهم الكاتب نفسه بأن الغلبة له ولما ذهب إليه أسلافه القدرية!! في حين أن نصوص الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة، ومن تبعهم من الأئمة كلها تبطل قولهم، وتكشف شبهاتهم، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

(٢) شرح توحيد الصدوق (٢/ ١٣٨). لسعيد بن محمد القمي، صححه وعلق عليه الدكتور/ نجفقلي حبيبي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، طهران.

أعمال العباد مخلوقة لله تعالى(١). وفرقة منهم لم يقولوا في خلق أعمال العباد شيئًا، لا أنها مخلوقة، ولا أنها غير مخلوقة(٢). والفرقة الثالثة قالت: إن أعمال العباد غير مخلوقة لله تعالى(٣). وهم يرون أن الحوادث تحدث بغير قدرته ولا خلقه، وأن الله تعالى لا يقدر أن يهدي ضالاً، ولا يقدر أن يضل مهتديًا، وأن الله يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، وفي الجملة هؤلاء لا يثبتون مشيئة عامة، ولا قدرة تامة، ولا خلقًا متناولاً لكل حادث، وهذا القول أخذوه عن المعتزلة، هم أئمتهم فيه(٤). وتأمل هذا التشابه بين

---

(١) وهذا قول هشام بن الحكم الرافضي، «وحكى جعفر بن حرب عن هشام بن الحكم أنه كان يقول: إن أفعال الإنسان اختيار له من وجه، اضطرار من وجه، اختيار من جهة أنه أرادها واكتسبها، واضطرار من جهة أنها لا تكون منه إلا عند حدوث السبب المهيج عليها». مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤).

(٢) وهؤلاء هم الواقفة، ومعنى قولهم هو معنى قول أهل السنة، ولكن توقفوا في إطلاق اللفظ. انظر: منهاج السنة (٢/ ٣٠١). لابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤-١١٥). وانظر: الفرق بين الفرق (٦٧، ٦٩). وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن منهم طوائف تثبت القدر وتنكر مسائل التعديل والتجوير. انظر: منهاج السنة (١/ ١٢٨). و(٢/ ٢٩٩-٣٠١).

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (١/ ١٢٩ - ١٣٠). ومما يحسن التنبيه عليه هنا أن من الرافضة الخبثاء طائفة يُقال لها: المفوضة، وهم قوم زعموا أن الله تعالى خلق محمداً، ثم فوض إليه خلق العالم وتدبيره، فهو الذي خلق العالم، ثم فوض محمدٌ تدبير العالم إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو المدبر الثاني. وهذا الفرقة شرٌّ من المجوس، الذين زعموا أن الله تعالى خلق الشيطان، ثم إن الشيطان خلق الشرور، وشرٌّ من النصارى الذي سموا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ =

المجوس والقدرية، ومنهم الرافضة الإمامية!!

قول الزيدية[(١)]:

إن الطائفة الزيدية تتبع المعتزلة في عقائدها، ومن ذلك نفيهم للقدر، واعتقادهم أن العباد يخلقون أفعالهم، يقول الرصاص[(٢)]: «مذهبنا أن أفعال العباد حسنها وقبحها منهم، لا من الله تعالى»[(٣)]. ويذكر الأشعري أنهم اختلفوا؛ فمنهم من قال: إن أعمال العباد مخلوقة لله، خلقها وأبدعها واخترعها بعد أن لم تكن، فهي محدثة له مخترعة. ومنهم من قال: إنها غير مخلوقة لله، ولا محدثة له مخترعة، وإنما هي كسب للعباد اخترعوها وأبدعوها وأحدثوها وفعلوها[(٤)].

=

مدبراً ثانياً. انظر: الفرق بين الفرق (٢٥١). وقال: «فمن عد مفوضة الرافضة من فرق الإسلام فهو بمنزلة من عد المجوس والنصارى من فرق الإسلام».

(١) نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولد سنة ٧٨هـ، ومات سنة ١٢٢هـ. انظر عن حياته: الإمام زيد بن علي المفترى عليه (٣٤) وما بعدها. لشريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، المكتبة الفيصلية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، دون ذكر لرقم الطبعة. وعن كذب المعتزلة في ذكرهم له من طبقاتهم ومخالفته لهم؛ انظر: المرجع نفسه (١٤٧) وما بعدها.

(٢) أحمد بن محمد الحسن الرصاص، فقيه يمني، من أعيان الزيدية، مات سنة ٦٥٦هـ. انظر: الأعلام (١/ ٢١٩).

(٣) الخلاصة النافعة (١٢٣) تحقيق إمام حنفي سيّد عبد الله، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٨). وعن قولهم في الاستطاعة: منهم من قال مع =

قول الخوارج: يقول كثير منهم بقول المعتزلة في القدر[١]؛ أي أن أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى، ومنهم من قال: أعمال العباد مخلوقة[٢]، و«الله سبحانه لم يزل مريداً لما علم أنه يكون أن يكون، ولما علم أنه لا يكون أن لا يكون، وإنه مريد لما علم من طاعات العباد ومعاصيهم، لا بأن أحب ذلك، ولكن بمعنى أنه ليس بآب عنه ولا بمكره عليه»[٣].

قول الكلابية[٤]:

يرى الأشعري أن ابن كلاب يقول في القدر بقول أهل السنة

=

الفعل، ومنهم من قال: قبل الفعل. المرجع نفسه (١/ ١٤٨ – ١٤٩).

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٧، ١٧٩، ١٨٤). الفرق بين الفرق (٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٥).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٨). الفرق بين الفرق (٩٤، ٩٥).

(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٧).

(٤) أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، صنف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم، من كتبه: خلق الأفعال، قال من لا يعلم إنه ابتدع ما ابتدعه ليدس دين النصارى في ملتنا، وهو قول باطل، بل هو من أقرب المتكلمين إلى السنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤ – ١٧٦). ومن عقائد ابن كلاب: إثبات بعض الصفات، ونفي بعضها الآخر، ومما أثبت صفة الاستواء والعلو، وأما صفة الكلام فقال: إن كلام الله تعالى غير مخلوق، ولكنه قال: إنه كلام أزلي قائم بذاته تعالى، وليس بحروف ولا أصوات، والقرآن عبارة عن كلام الله تعالى. وأثبت ابن كلاب الرؤية. انظر عن ذلك: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٥٠–٣٥١، ٢/ ٢٢٥–٢٢٦). موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٤٤٢– ٤٥٢)، الدكتور/ عبد الرحمن بن صالح المحمود، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

والحديث(١)، ويُنقل عنه أنه قال: «أقول في الجملة: إن الله أراد حدوث الحوادث كلها خيرها وشرها، ولا أقول في التفصيل: إنه أراد المعاصي، وإن كانت من جملة الحوادث التي أراد حدوثها، كما أقول في الجملة عند الدعاء يا خالق الأجسام ولا أقول في الدعاء على التفصيل يا خالق القرود والخنازير والدم والنجاسات، وإن كان هو الخالق لهذه الأشياء كلها»(٢).

قول الأشاعرة:

يقولون: إن الله تعالى خالق أفعال العباد، وهم بهذا القول يوافقون أهل السنة والجماعة، وقولهم هذا حق، لكنهم يعتقدون في أفعال العباد ما يجعلهم يشابهون الجهمية في قولهم بالجبر، وإن كانت جبريتهم أقل مما هو عند الجهمية، ويتبيّن ذلك بنظرية الكسب عندهم، تلك النظرية التي بقي على القول بها جماعة من المتقدمين والمتأخرين(٣).

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٥٠ – ٣٥١).

(٢) أصول الدين (١٠٤). وانظر عن رأيهم في القدر: آراء الكلابية العقدية (٢٠٧). وما بعدها. هدى الشلالي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، الرياض، السعودية.

(٣) يضطرب الأشاعرة كثيراً في مسألة الكسب، وتجد هذا الاضطراب عند المتقدمين والمتأخرين منهم. انظر على سبيل المثال عند المتأخرين: شرح جوهرة التوحيد (١٠٤- ١٠٦). إبراهيم بن محمد البيجوري، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. القضاء والقدر (٨)، جمال الدين الأفغاني، المطبعة المحمودية التجارية، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. وفيه: «ولو استقلت قدرة البشر بالتأثير، ما انحط رفيع، ولا ضعف قوي، ولا انهدم مجد، ولا تقوض سلطان» المرجع نفسه (١٠).

قول الماتريدية[١]:

يذهب الماتريدية إلى أن الله تعالى خلق أفعال العباد كلها، خيرها وشرها. يقول أبو المعين النسفي[٢]: «أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى، والله تعالى يخلق أفعال العباد كلها خيراً كان أو شراً»[٣].وهذا القول حق وصواب، ولكن الماتريدية عند حديثهم عن علاقة العبد بفعله، يقولون بنظرية الكسب، فالماتريدي بعد أن ذكر الفرق في الإضافة إلى الخالق، والإضافة إلى العباد ذكر أن حقيقة هذا الفعل: «للعباد من طريق الكسب، ولله من طريق الخلق»[٤]. ويفرق بين أفعال العباد التي تقع بإرادتهم وقصدهم، والأفعال التي على خلاف ذلك[٥]. وسيأتي -إن شاء الله تعالى- الحديث عن مذهب الأشاعرة والماتريدية في القدرة وأثرها.

---

(١) تنسب لأبي منصور الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أحد أئمة علم الكلام، له العديد من المصنفات، منها: تأويلات أهل السنة، أوهام المعتزلة، مات سنة ٣٣٣هـ. انظر: الأعلام (٧/ ١٩).

(٢) ميمون بن محمد بن محمد، أبو المعين النسفي، عالم بالأصول والكلام، من كتبه: بحر الكلام، تبصرة الأدلة، التمهيد لقواعد التوحيد. مات سنة ٥٠٨هـ. انظر: الأعلام (٧/ ٣٤١).

(٣) بحر الكلام (١٤٧). دراسة وتعليق الدكتور/ ولي الدين محمد صالح الفرفور، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، دار الفرفور للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا. وانظر: شرح العقائد النسفية (٧٨). للتفتازاني، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، حققه وقدم له، طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

(٤) التوحيد (٢٢٨).

(٥) انظر: التوحيد (٢٢٩).

المبحث الخامس

القدرة والاستطاعة ومنشأ ضلال القدرية المجوسية

وقع الخلاف بين المتكلمين في العديد من المسائل المتعلقة بمسألة فعل العبد وقدرته، فمنهم من جعل لها أثراً، ومنهم من أبى ذلك، ومنهم من جعل القدرة قبل الفعل، ومنهم من جعلها مقارنة له، ثم رتب كل فريق على موقفه هذا كثيراً من المسائل المتعلقة بأفعال العباد، وقبل ذكر أقوالهم يحسن الإشارة إلى قول أهل السنة في القدرة، وقد لخص ذلك شيخ الإسلام بقوله: «والصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة: أن الاستطاعة متقدمة على الفعل ومقارنة له أيضـاً، وتقارنه أيضـاً استطاعة أخرى لا تصلح لغيره. فالاستطاعة نوعان: متقدمة صالحة للضدين، ومقارنة لا تكون إلا مع الفعل، فتلك هي المصححة للفعل المجوزة له(١)، وهذه هي الموجبة للفعل المحققة له(٢)»(٣). أما المتكلمون فهذه إشارات مختصرة إلى موقفهم من

---

(١) وهذه القدرة تحصل للمطيع والعاصي وتكون قبل الفعل. انظر: منهاج السنة (٣/ ٤٧) وما بعدها.

(٢) وهذه القدرة هي التي بها يتمكن العبد من الفعل؛ لأن القدرة السابقة لا تكفي في وجود الفعل، ولو كانت كافية لكان التارك كالفاعل، بل لا بد من إحداث إعانة أخرى تقارن هذه مثل جعل الفاعل مريداً، فإن الفعل لا يتم إلا بقدرة وإرادة. انظر منهاج السنة (٣/ ٤٩-٥٠). وانظر: ما بعدها.

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٧٢). ويقول: «لفظ القدرة يتناول نوعين؛ أحدهما: القدرة الشرعية المصححة للفعل التي هي مناط الأمر والنهي. والثاني القدرة القدرية الموجبة =

القدرة[١] والاستطاعة، وهل تسبق الفعل أم تقارنه؟ وهل لها أثر أم لا؟

قول الجهمية:

سبق القول أن الجهمية يرون أنه لا قدرة للعبد؛ لأنه مجبور على حركاته، ويجعلون أفعاله الاختيارية والاضطرارية من جنس واحد[٢].

قول النجارية:

قالوا: إن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، وأما الاستطاعة فيرى النجار أنها لا تسبق الفعل، بل تكون معه «وأن العون من الله –سبحانه– يحدث في حال الفعل مع الفعل، وهو الاستطاعة، وأن الاستطاعة الواحدة لا يفعل بها فعلان، وأن لكل فعل استطاعة تحدث معه إذا حدث، وأن الاستطاعة لا تبقى، وأن في وجودها وجود الفعل، وفي

=

للفعل التي هي مقارنة للمقدور لا يتأخر عنها» المرجع نفسه (٨/ ١٢٩). وانظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٦٠) وما بعدها، لابن تيمية، تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(١) يعرف بعض المتكلمين القدرة بقوله: «الصفة التي تمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة». التعريفات (٢٢١). أو هي: «صفة تؤثر على قوة الإرادة». التعريفات (٢٢١). وانظر: الكليات (٧٠٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٤٤–٤٤٥). وقولهم هذا باطل؛ فإن الله تعالى فرق بين المستطيع القادر وغير المستطيع، وكذلك أثبت الله تعالى للعبد مشيئة وفعلاً، ومع هذا فإن الله تعالى خالقه وخالق كل ما فيه من قدرة ومشيئة وعمل، فإنه لا رب غيره، ولا إله سواه، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه. انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٦٧).

عدمها عدم الفعل...»[١].

قول الضرارية:

قالوا: إن الله تعالى خالق أفعال العباد، ويرون أن الاستطاعة تكون قبل الفعل، ومع الفعل[٢].

قول الأشاعرة:

يرى أبو الحسن الأشعري أنه لا أثر للقدرة الحادثة؛ أي أن قدرة العبد لا أثر لها في فعله[٣]، و«يذهب إلى أن الفاعل على الحقيقة هو الله عز وجل، ومعناه معنى المحدِث وهو المخرج من العدم إلى الوجود... وكان يصف المحدث على الحقيقة إنه مكتسب...وكان يقول إن عين الكسب وقع على الحقيقة بقدرة محدثة، ووقع على الحقيقة بقدرة قديمة، فيختلف معنى الوقوع فيكون وقوعه من الله عز وجل بقدرته القديمة إحداثـًا، ووقوعه من

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٠-٣٤١). وانظر: كيد الشيطان لنفسه (١٩٤)، لابن الجوزي، ضمن مجموع، تحقيق أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٩). الفرق بين الفرق (٢١٤).

(٣) يقول مصطفى صبري عن مذهب الأشاعرة في قدرة العبد: «له قدرة لكن لا تأثير لقدرته، والله هو خالق أفعاله، وعلاقته بأفعاله عبارة عن كونه محلاً لها». موقف البشر تحت سلطان القدر (٤٨). الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ، المطبعة السلفية، القاهرة. ويقول: «وتعلق المدح أو الذم بالإنسان من أفعاله على هذا المذهب إنما هي لكونه محلاً ومظهراً لتلك الأفعال لا لكونه فاعلها». المرجع نفسه (١٤٩).

المحدَث بقدرته المحدثة اكتسابًا. وكان لا يمتنع من إطلاق القول بمقدور بين قادرين؛ أحدهما خالقه، والآخر مكتسبه»(١).

وأما أتباعُ الأشعري فبعضهم ينقل قوله، وبعضهم لا يسلم له، وبعضهم اختلف معه فيما ذهب إليه، فالشهرستاني(٢) يقول: إن أبا الحسن الأشعري لم يثبت «للقدرة الحادثة صلاحية أصلاً؛ لا لجهة الوجود، ولا لصفة من صفات الوجود»(٣).

ويقول الرازي(٤): زعم أبو الحسن الأشعري «أنه لا تأثير لقدرة العبد في مقدوره أصلاً، بل القدرة والمقدور واقعان بقدرة الله تعالى»(٥). ورد الرازي بما حاصله: أن العبد إما أن يكون مستبدا بإدخال شيء في الوجود، وإما أن لا يكون، فهذا نفي وإثبات، ولا واسطة بينهما، فإن كان الأول، فقد سلمتم قول المعتزلة، وإن كان الثاني كان العبد مضطراً، فتعود الاشكالات «وعند

---

(١) مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري (٩٣). وانظر (٩٥).

(٢) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، من أهل الكلام، متخبط في الاعتقاد، اتهم بميله إلى الإلحاد، غال في التشيع، مات سنة ٥٤٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(٢٠/ ٢٨٦- ٢٨٨).

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام (٧٢). حرره وصححه: الفرد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

(٤) أبو عبد الله محمد بن عمر، المفسر المتكلم، الفيلسوف، جاء بطَوامَّ، قيل: إنه ندم على اشتغاله بعلم الكلام، ومات على سيرة حسنة. انظر: شذرات الذهب (٥/ ٢١-٢٢).

(٥) المحصل (٤٥٥). الرازي، تقديم وتحقيق: الدكتور/ حسين أتاي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

هذا التحقيق فيظهر أن الكسب اسم بلا مسمى»(١).

والمقصود هنا أن أتباع المذهب اضطربوا في معنى الكسب، ولم يقبل بعضهم بكسب لا حقيقة له، لكن تناقضوا ولم يثبتوا أثراً حقيقياً للقدرة، وإن كان بعضهم قد اقترب من قول أهل السنة في ذلك كإمام الحرمين.

فالباقلاني(٢) يرى أن حدوث الفعل بالقدرة الحادثة أو تحتها نسبة خاصة، ويسمي ذلك أيضـًا كسبـًا، وذلك هو أثر القدرة الحادثة(٣). ويقول: «يجب أن يُعلم: أن العبد له كسب، وليس مجبوراً بل مكتسب لأفعاله؛ من طاعة ومعصية»(٤). ويقول أيضـًا: «أفعال العباد هي كسب لهم وهي خلق الله تعالى. فما يتصف به الحق لا يتصف به الخلق، وما يتصف به الخلق لا يتصف به الحق، وكما لا يقال لله تعالى إنه مكتسب، كذلك لا يقال للعبد إنه خالق»(٥).

---

(١) المحصل (٤٧٠).

(٢) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب المالكي، الأصولي، المتكلم، من أفضل المتكلمين المنتسبين للأشعري، مات سنة ٤٠٣هـ. انظر: شذرات الذهب(٣/ ١٦٨-١٧٠).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ٩٦ – ٩٧).

(٤) الإنصاف (٧٠)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

(٥) الإنصاف (٧١)، ويقول: «اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى هو الخالق وحده، لا يجوز أن يكون خالق سواه، فإن جميع الموجودات من أشخاص العباد وأفعالهم وحركات الحيوانات قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها خلق له تعالى لا خالق لها =

ويرى أن صلاحية القدرة الحادثة اقتصرت على بعض الموجودات دون بعض؛ أي أنها مقصورة على حركات مخصوصة[١]. يقول الرازي: «وزعم القاضي أبو بكر الباقلاني أن ذات الفعل واقع بقدرة الله تعالى، وكونه طاعة ومعصية، صفات تقع بقدرة العبد»[٢].

فالباقلاني يثبت أثراً لهذه القدرة وإن كان بصفة مخصوصة، وبلا صلاحية عامة شاملة وهذا -كما يقول الرازي-: «اعتراف بكون القدرة الحادثة مؤثرة، وهو تسليم لقول الخصم»[٣].

أما الجويني[٤] فقد قال بتأثير القدرة الحادثة، ولعله أراد الخروج من إشكالية الجبر التي تلزم من نظرية الكسب، ومما قاله: «قد تقرر عند كل حاط بعقله، مرقي عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد: أن الرب سبحانه وتعالى مطالب عباده بأعمالهم في حياتهم، وداعيهم إليها، ومثيبهم ومعاقبهم عليها في مآلهم، وتبين بالنصوص التي لا تعرض للتأويلات أنه أقدرهم على

=

غيره؛ فهي منه خلق وللعباد كسب...فالواحد منا إذا سمى فاعلاً فإنما يسمى فاعلاً بمعنى أنه مكتسب، لا بمعنى أنه خالق لشيء...». المرجع نفسه (٢٠١).

(١) انظر: نهاية الأقدام (٧٦).

(٢) المحصل (٤٥٥).

(٣) المحصل (٤٧١).

(٤) أبو المعالي الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الفقيه الشافعي المتكلم، ندم في آخر حياته على اشتغاله بعلم الكلام، مات سنة ٤٧٨هـ. انظر: شذرات الذهب (٣/ ٣٥٨-٣٦٠).

الوفاء بما طالبهم به، ومكنهم من التواصل إلى امتثال الأمر والانكفاف عن مواقع الزجر، ولو ذهبت أتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام... فمن أحاط بذلك كله ثم استراب أن أفعال العباد واقعة على حسب إيثارهم واختيارهم واقتدارهم، فهو مصاب في عقله، أو مستقر على تقليده، مصمم على جهله، ففي المصير إلى أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع، والتكذيب بما جاء به المرسلون، فإن زعم زاعم ممن لم يوفق لمنهج الرشاد أنه لا أثر لقدرة العبد في مقدوره أصلاً، فإذا طولب بمتعلق طلب الله تعالى بفعل العبد تحريماً وفرضاً، ذهب في الجواب طولاً وعرضاً»(١).

ويقول: «الحوادث كلها حدثت بقدرة الله تعالى، ولا فرق بين ما تعلقت قدرة العباد به، وبين ما تفرد الرب بالاقتدار عليه، ويخرج من مضمون هذا الأصل، أن كل مقدور لقادر، فالله تعالى قادر عليه وهو مخترعه ومنشؤه»(٢).

ويرى الشهرستاني أن الجويني قد غلا في إثباته للقدرة الحادثة؛ إذ جعل لها أثراً في الوجود، وإن لم يثبت للعبد استقلالاً بالوجود، ما لم يستند إلى سبب آخر، ثم تتسلسل الأسباب في الترقي إلى البارئ سبحانه، وهو الخالق

---

(١) العقيدة النظامية (٤٢- ٤٤). وانظر: ما بعدها. الجويني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة.

(٢) الإرشاد (٧٩). الجويني، علق عليه: زكريا عميرات، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

المستقل بالإبداع[١].

ويقول فيه الرازي: «وزعم إمام الحرمين أن الله تعالى يوجد للعبد القدرة والإرادة، ثم هما يوجبان وجود المقدور»[٢].

وعند القول بوجود هذه القدرة المؤثرة عند بعض الأشاعرة، فهل يقع الفعل بواحدة من القدرتين أم بهما معـًا؟

يرى الغزالي أن فعل العبد يقع بمجموع القدرتين، والله تعالى خالق القدرة والمقدور جميعـًا، وخلق الاختيار والمختار جميعـًا، فأما القدرة فوصف للعبد، وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له، ثم بيّن أنه لا يكون جبراً، والواحد من الناس يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية، وكذلك كيف يكون العبد خالقـًا لفعل نفسه وهو لا يحيط علمـًا بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها[٣]، ثم قال: «وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد في الاعتقاد، وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعـًا، وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب»[٤].

وهذه الأقوال من علماء الأشاعرة رغم تصريح بعضهم بنفي الجبر،

---

(١) انظر: نهاية الإقدام (٧٨).

(٢) المحصل (٤٥٥).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (١/ ١٤٦ -١٤٧). الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، دار الخير للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٤) إحياء علوم الدين (١/ ١٤٧).

والقول بجواز وقوع الفعل الواحد بقدرتين مختلفتين، إلا أن أقوالهم لم تأت على الحق البيّن الذي ذكره أهل السنة والجماعة، من إثبات القدرة للعبد وأن لها أثر في فعله، بل قالوا بنظرية الكسب التي لم يأتوا فيها بقول بيّن.

والمقصود أن الأشاعرة يفرقون بين فعل الله تعالى الذي هو الخلق، وفعل العبد الذي هو الكسب، وقولهم بالكسب أرادوا به الخروج من القول بالجبر، ولكن حقيقة قولهم: ما فروا منه، وإن كانت جبرية دون جبرية الجهمية، كما صرح بذلك بعضهم، فقال: «والجبرية متوسطة تثبت للعبد كسباً كالأشعرية، وخالصة لا تثبته كالجهمية...»[(١)].

ولهذا فإن حقيقة مذهب الأشاعرة أنهم لا يرون للقدرة أثراً في الفعل، وإن كانوا يرون أن لها تعلقاً به، وهو الذي يسمونه كسباً[(٢)]. فالعبد عندهم ليس بفاعل على الحقيقة، والفاعل إنما هو الله تعالى.

قول الماتريدية:

يذهب الماتريدية إلى أن الله تعالى خلق أفعال العباد كلها خيرها وشرها، وهذا القول حق وصواب، ولكن الماتريدية عند حديثهم عن علاقة العبد بفعله، وما ينسب إليه منه وما لا ينسب، تجدهم يقولون بنظرية

(١) شرح المواقف (٨/ ٤٢٩). للجرجاني، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) انظر: المواقف مع شرحه (٦/ ٨٦).

الكسب، ويفرقون بين أفعال العباد التي تقع بإرادتهم وقصدهم، والأفعال التي على خلاف ذلك[١].

والماتريدية في قولهم بالكسب يفرقون بين أمرين في مسألة التأثير في الفعل؛ فجعلوا قدرة الله تعالى مؤثرة في أصل الفعل، وقدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل، وهذا التأثير إما أنه الكسب، أو القصد، وتكون بناء على ميل العبد واختياره. يقول الماتريدي: «وعندنا أن القدرة في الصحيح السليم؛ إذ هي تحدث تباعًا على قدر حرص العباد واختيارهم وميلهم إليها...»[٢]. ويقول النسفي: «لما ثبت أن الإيجاد ليس من قبل العبد وأن له فعلاً، فيتعلق بما هو فعله الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، والحمد والذم، وإن كان ذلك غير متعلق بالإيجاد»[٣]. وذكر الفرق بين فعل الله تعالى ومفعوله[٤].

ويقول: «العبد مخير مستطيع، فإذا وجد منه الجهد والقصد والنية والاكتساب في المعصية يجري خذلان الله تعالى مع نيته وقصده، فيستحق

---

(١) انظر: التوحيد (٢٢٩).

(٢) التوحيد (٢٦٦).

(٣) التمهيد في أصول الدين (٧٠).تحقيق وتعليق الدكتور/ عبد الحي قابيل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، القاهرة، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة. وانظر: ص (٦٢). وفيها: «للخلق أفعال بها صاروا عصاة ومطيعين، وهي مخلوقة لله تعالى، فيتعلق الثواب والعقاب بفعلهم دون تخليق الله تعالى».

(٤) انظر: التمهيد في أصول الدين (٧٠).

العقوبة على فعل نفسه، وإذا وجد منه جميع ذلك في الطاعة يجري عون الله تعالى وتوفيقه تعالى مع فعله»[١].

وقول الماتريدية هذا يوافق ما أثبتوه من جواز وقوع مقدور واحد تحت قدرتين، ويفرقون بينهما بقولهم: إن واحدة منها: قدرة اختراع وإيجاد، والثانية قدرة اكتساب، والممتنع هو وقوع المقدور الواحد تحت قدرتين بمعنى واحد؛ إما الاختراع، أو الاكتساب[٢]. فيرون أن الفعل وقع بتأثير قدرة العبد واختياره، وهذا حق، والإسناد إلى قدرة الله تعالى حق[٣]. وعندهم إن قصد العبد «فعل الخير، خلق الله تعالى قدرة فعل الخير، وإن قصد فعل الشر، خلق الله تعالى قدرة فعل الشر»[٤]. وهذا القول هو مذهب جمهور الماتريدية[٥].

والمقصود أن الماتريدية يرون أن للعبد إرادة جزئية بها يكون فعله، وهذا الإرادة غير مخلوقة، وبناء عليها يخلق الله تعالى قدرة العبد، وهو قول

---

(١) بحر الكلام (١٤٥).

(٢) انظر: التمهيد في أصول الدين (٦٧).

(٣) انظر: الصحائف الإلهية (٣٩٤). السمرقندي، حققه وعلق عليه الدكتور/ أحمد عبد الرحمن الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مكتبة الفلاح، الكويت.

(٤) شرح العقائد النسفية (٨٦).

(٥) انظر: إشارات المرام من عبارات الإمام (٢٥٦). حقق نصوصه يوسف عبد الرازق، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

فيه فساد كبير من جهة لازمه، وهو أن قدرة الله تعالى وإرادته كأنها تبع لما يريده العبد ويقصده بالاختيار.

فالأشاعرة والماتريدية يتفقون على خلق أفعال العبد، والعبد كاسب لها، ويعنون أنه متسبب بعزمه في أن يخلق الله الفعل ويجريه على يديه. فلما سئلت الفرقتان عن هذا العزم: أمن عمل العبد هو أم من عمل الرب تعالى؟ أي هل العبد هو الذي يوجه إرادة نفسه مختاراً في هذا التوجيه؟ أم أن الله تعالى يوجه إرادة العبد إلى الشيء أو ضده(١)؟ افترقتا في الجواب؛ فقالت إحداهما بالأول وهي فرقة الماتريدية، وقالت الأخرى بالثاني وهي فرقة الأشاعرة(٢).

قول القدرية المجوسية:

يذهب القدرية إلى القول بأن أفعال العباد فيها الحسن والقبيح، وفيها الخير والشر، ولو قيل: إن الله تعالى خلق أفعالهم لنُسِبَ إليه جل جلاله هذا الخلق، وهو منزهٌ عن العيب والقبح، ومن ثَمَّ التزموا القول بأن العباد

---

(١) ذكر مصطفى صبري أن الماتريدية يرون أن إرادة العبد قسمان: الإرادة الكلية وهي مخلوقة لله تعالى، والإرادة الجزئية وهي غير مخلوقة، وأثرها بأيديهم، وربما جعلوا الإرادة الجزئية عبارة عن صرف الإرادة الكلية واستعمالها في جانب معين، فهم يريدون أن يجعلوا التعلق بيد العبد ليفروا من الجبر، فتصرف العباد بهذه الطريقة يوضح معنى الكسب، ويعطيه مفهوماً مقبولاً. انظر: موقف البشر تحت سلطان القدر (٥٦-٥٨).

(٢) انظر: المختار من كنوز السنة النبوية (٢٤٧). الدكتور/ محمد عبدالله دراز، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، السعودية، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

خالقون لأفعالهم، ورتبوا هذه الضلالات بعضها على بعض، فهذا قولهم وقول من وافقهم.

ولا يعزب عن البال أن هؤلاء كان لهم أسلاف أخذوا عنهم واتبعوهم في باطلهم، وهم الفرس المجوس، القائلون بإلهين اثنين أو آلهة كثيرة موزعة بين الخير والشر، فيقع الصراع بينها، وتنتصر آلهة الخير ومن معها على آلهة الشر ومن معها[1].

ونشأت عن هذه الأفكار نحل أخرى عند الفرس ارتبطت بأسماء من نسبت إليه، وكان من أشهرها الزرادشتية، وصاحبها زرادشت، والتصقت به المجوسية أكثر من غيره. والمشهورُ من تعاليمهِ أنه كان يقولُ بالأصلين، أو

---

(١) انظر عن المجوسية: الملل والنحل (١/ ٥٦٦، ٥٦٩- ٥٧٣، ٥٧٥). تجريد التوحيد (٦٤) للمقريزي، تحقيق: صبري سلامة شاهين، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، دار القبس للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. التحرير والتنوير(م ٧/ج ١٧/ ٢٢٣- ٢٢٤)، ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. صبح الأعشى (١٣/ ٢٩٤) للقلقشندي، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. الأديان الوضعية (١٨٣، ١٩٨)، الدكتور/ إبراهيم محمد إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، مطبعة الأمانة، شبرا، مصر. فجر الإسلام (٩٩) وما بعدها. المعتقدات الدينية (٩٢) لجفري بارندر، ترجمة الدكتور/ إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٣م. أديان العالم (١٥٢، ١٥٥)، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. الأديان الوضعية (١٨٢-١٨٣).

إله الخير وإله الشر، فإله الخير خلَقَ كل ما هو حسنٌ وخيرٌ ونافع، وإله الشر خلق كل ما هو شر في العالم.

وقد نص الكتاب المقدس للزرادشتية على هذا، ومما ذُكر فيه: «نعبد آهور مازدا المقدس خالق المخلوقات الصالحة»(١). وفيه أيضـًا: «أتحدث عن الروحيين في بداية الوجود، حين قالت روح الخير لروح الشر، لا تتفق أبداً عقولنا، تعاليمنا مشيئتنا، معتقداتنا، كلماتنا، أفعالنا، ولا نفوسنا أو أرواحنا»(٢). وفيه: «مالك الشر يعيق المجد بأفعاله الشنيعة من سيصادر مملكته أو حياته يا مازدا؟ سيقوم بذلك، ذلك الذي يمشي في الأيام، ليسهل الدرب أمام المذهب الخيّر»(٣). وفيه: «لأجل مقاومة أنكرامائينو وإزاحته إزاحة مخلوقاته التي هي أيضا مثله شريرة»(٤). وفيه: «نقدم القرابين لشيستا الأقوم، المقدسة التي خلقها مازدا، لقانون عباد مازدا الخيّر»(٥). إلى غير ذلك مما اشتمل عليه كتابهم المقدس: من أن إله الخير خلق الخير والمخلوقات التي تأتي بالخيرات(٦)، وهي المخلوقات الصالحة ومنها:

---

(١) الأفستا، الياسنا ١٦/ ١٠. إعداد الدكتور/ خليل عبد الرحمن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م، روافد للثقافة والفنون، دمشق، سوريا.

(٢) الأفستا، الياسنا ٤٥/ ٢.

(٣) الأفستا، الياسنا ٤٦/ ٤.

(٤) الأفستا، الياسنا ٦١/ ٢.

(٥) الأفستا، ياشت ١٦/ ١.

(٦) انظر على سبيل المثال: الأفستا، ياشت ١٩/ ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢.

النار، والمياه المقدسة، والشمس المقدسة، والقمر، والنجم، في حين أن المخلوقات المخيفة والشريرة[١] خلقها الشيطان[٢].

ومنهم أيضـاً: المانوية أتباع (ماني)[٣]، وهم أيضـاً يقولون بإلهين اثنين: والعالم نشأ عنهما، فعن النور نشأ كل خير، وعن الظلمة نشأ كل شر، فما يصدر عن الإنسان من خير فمصدره إله الخير، وما صدر عنه من شر فمصدره إله الشر[٤]. والمقصود أن أغلب طوائف المجوس يقولون

---

(١) انظر على سبيل المثال: الأفستا، فينديداد ١/ ٢،٤، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٧، ١٨، ١٩. وفيها حديث الإله آهور مازدا عن خلقه لبعض الأمكنة الخيّرة، ويقارن ذلك بما خلقته الآلهة الشريرة.

(٢) انظر على سبيل المثال: الأفستا، الياسنا ١٦/ ٢، ٦، ٨، ١٠. وانظر أيضا: هكذا تكلم زرادشت (٨٥، ١١٣). فريدريك نيتشه، ترجمة فليكس فارس، دار أسامة، دمشق، سوريا، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. ومما يذكر هنا أن بعضهم يرى أن الزرادشتية تحارب الوثنية والشرك، وأن من تنسب إليه قال بإله واحد، ولكن لم يدم ذلك طويلاً، بل قالت بإلهين اثنين. انظر في ذلك: صبح الأعشى (١٣/ ٢٩٥). الأديان الوضعية (١٨٢). دراسات في الأديان الوثنية القديمة (١١٧ – ١١٨)، أحمد علي عجيبة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

(٣) ماني بن فاتك، ظهر زمان أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. انظر: الملل والنحل (١/ ٦١٩).

(٤) انظر عن ذلك: الملل والنحل (١/ ٦٢٠، ٦٢٦). فجر الإسلام (١٠٥). الأديان الوضعية (١٩٦– ١٩٧). موسوعة العقاد الإسلامية (٩٣). الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.

بالأصلين النور والظلمة، فالخير ينسب للنور، والشر للظلمة[١]، وأغلب طوائفهم يرون أن الإنسان يفعل بإرادته ما يشاء ولا علاقة للآلهة بأفعاله، وقارن هذا مع ما تذكره القدرية؛ يتبيّن جلياً أن ما جاء عن هؤلاء المجوس هو الجذور الحقيقية لما جاء به مجوس هذه الأمة.

فالقدرية المجوسية: يرون أن العبد له قدرة يستطيع بها خلق أفعاله من الحسنات والسيئات[٢]، وهذه القدرة والاستطاعة تكون قبل الفعل، وهي قدرة عليه وعلى ضده، وهي غير موجبة له[٣]. وهم بهذا يريدون أن يسلم لهم قولهم: إن الله تعالى لا يخلق الشر.

شبهات المعتزلة:

ذكر المعتزلة بعض الشبهات، زعموا أنها أدلة لهم على قولهم بنفي خلق

---

(١) ومنهم: المزدكية أصحاب مزدك، وكان يقول بالأصلين، ولكنه يرى أن النور يفعل بالقصد والاختيار، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق. انظر الملل والنحل (١/ ٦٣١-٦٣٢). ومنهم الديصانية،: (أصحاب ديصان، أثبتوا أصلين: نورا وظلاما، فالنور: يفعل الخير قصدا واختيارا. والظلام: يفعل الشر طبعا واضطرارا. فما كان من خير ونفع، وطيب، وحسن فمن النور. وما كان من شر، وضرر، ونتن، وقبح، فمن الظلام). الملل والنحل (١/ ٦٣٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٤٤).

(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٠٠). وذكر أن ابن الراوندي قال: القدرة مع الفعل، وهي تصلح للشيء وتركه في حال حدوثه. انظر المرجع نفسه، ذات الجزء، والصفحة. وعن أقوالهم في الاستطاعة وخلافهم في مسائلها: انظر: المرجع نفسه (١/ ٢٩٩). وما بعدها.

الله تعالى لأفعال العباد لوجود القبيح والشر فيها، ومن أهم شبهاتهم:

الشبهة الأولى: قولهم: إن المقدور لا يقع من قادريْن، ثم يُنسب الفعل لكل واحد منهما.

يقول القاضي: «إن كل قادر يجب كون الشيء مقدوراً له عند العدم، يجب كونه مفعولاً له عند الوجود، فلا يصح لو كان المقدور الواحد مقدوراً لقادريْن، أن يحصل عند الوجود فعلاً لأحدهما دون الآخر»(١).

ومما يقال في إبطال زعمهم هذا، قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال: ١٧]؛ إذ يبين تعالى أنه خالق أفعال العباد، وأنه هو الذي وفق المسلمين وأعانهم على قتل أعدائهم، فهو الذي أظفرهم عليهم، وهو الذي أوصل تلك الحصباء إلى أعين المشركين، فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧]؛ أي: هو الذي بلغ ذلك إليهم، وكبتهم بها لا أنت(٢).

يقول ابن حزم: «وبيقين يدري كل ذي حس سليم مؤمن بالله تعالى وبالقرآن أن الزرع والرمي والقتل الذي نفاه الله تعالى عن الناس وعن

---

(١) المغني (٨/ ٩٩).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٩٥). لابن كثير، دار الدعوة، توزيع مكتبة الحرمين، الرياض.

رسوله ﷺ هو غير الزرع والرمي والقتل الذي أضافه إليهم...»[(١)].

ويبيّن الإمام ابن القيم أن ذلك يعود إلى التفريق بين نوعي الإضافة وجهة كل منها، فيقول: «إحداث الله سبحانه لها بمعنى أنه خلقها منفصلة عنه، قائمة بمحلها وهو العبد، فجعل العبد فاعلاً لها بما أحدث فيه من القدرة والمشيئة، وإحداث العبد لها بمعنى أنها قامت به، وحدثت بإرادته وقدرته، وكل من الإحداثين مستلزم للآخر، ولكن جهة الإضافة مختلفة، فما أحدثه الرب من ذلك، فهو مباين له، قائم بالمخلوق، مفعول له لا فعل. وما أحدثه العبد فهو فعل له، قائم به، يعود إليه حكمه، ويشتق له منه اسمه...»[(٢)].

ثم ذكر أن الله تعالى أضاف كثيراً من الحوادث إليه، وأضافها إلى بعض مخلوقاته، فأضاف هذه الأفعال إلى نفسه؛ إذ هي واقعة بخلقه ومشيئته وقضائه، وأضافها إلى أسبابها؛ إذ هو الذي جعلها أسباباً لحصولها، فلا تنافي بين الإضافتين، ولا تناقض بين السببين. وإذا كان كذلك تبين أن إضافة الفعل الاختياري إلى الحيوان بطريق التسبب، وقيامه به ووقوعه بإرادته لا ينافي

---

(١) الفصل في الملل والنحل (٣/ ٩٦). تحقيق الدكتور/ محمد إبراهيم نصير، والدكتور/ عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، السعودية.

(٢) شفاء العليل (٢/ ٩٦٣ – ٩٦٤) لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق ودراسة الدكتور/ أحمد بن صالح بن علي الصمعاني، والدكتور/ علي بن محمد بن عبد الله العجلان، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

إضافته إلى الرب تعالى خلقاً ومشيئة وقدراً. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]. وقال لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠]. فالرب تعالى هو الذي حملهم فيها بإرادته وأمره ومشيئته، ونوح حملهم بفعله ومباشرته(١).

الشبهة الثانية: قولهم: إن القدرة تتعلق بإحداث الفعل.

يقول القاضي: «اعلم أن الذي يقتضيه كونه قادراً، هو حدوث الفعل وخروجه من العدم إلى الوجود دون سائر أوصافه»(٢).

يرى المعتزلة أن القدرة تتعلق بإحداث الفعل، ومن ثم فلا يمكن القول بقدرتين ويُنسب الفعل لكل منهما، بل ينسب للقدرة التي أحدثته، والعباد هم الذين أحدثوا أفعالهم فتنسب لهم لا إلى الله تعالى.

يقال لهم: إن قدرة العبد وأثرها وكل متعلق بها مخلوق، وقدرة الله تعالى هي صفته وليست مخلوقة، فالإحداث كله الذي هو الخلق من الله تعالى، ومن ذلك قدرة العبد التي بها يفعل، ففرق بين القدرتين من حيث التعلق، فقدرة الله تعالى تتعلق بالإيجاد والخلق، وقدرة العبد تتعلق بفعله هو وما خلقه الله تعالى وهيأه من الأسباب لوقوع فعله.

يقول شيخ الإسلام: «فإن قيل: كيف يكون الله محدثاً لها والعبد محدثاً

(١) انظر: شفاء العليل (٢/ ٩٦٤-٩٦٥).

(٢) المغني (٨/ ٦٣). وانظر: ما بعدها. وانظر: (٨/ ١٣٢).

لها. قيل: إحداث الله لها بمعنى أن خلقها منفصلة عنه قائمة بالعبد، فجعل العبد فاعلاً لها بقدرته ومشيئته التي خلقها الله تعالى، وإحداث العبد لها بمعنى أنه حدث منه هذا الفعل القائم به بالقدرة والمشيئة التي خلقها الله فيه»(١).

ثم إنه يستحيل عقلاً وشرعـاً أن يكون تعلق قدرة العبد بفعله هو نفس تعلق قدرة الله تعالى بذلك الفعل، فأما وجه استحالة ذلك في الشرع فلأن الخلق مما يختص بالله تعالى، فيكون إثباته لغيره تعالى من الشرك. وأما وجه استحالة ذلك عقلاً فلأنه يلزم منه توارد قدرتين على مقدور واحد، ينسب لكل منهما ما ينسب للأخرى من الخلق والإبداع، وعلى هذا فإن نسبة الخلق إلى إحدى القدرتين يلزم منه نفيه بالضرورة عن القدرة الأخرى(٢).

ويقال لهم: أليس الإنسان مخلوقـاً محدثـاً، وأصبح فاعلاً بعد أن لم يكن، ومريداً بعد أن لم يكن؟ إن هذا مما لا تنازع فيه المعتزلة، فإقرارهم بهذا وقولهم: إن العباد يخلقون أفعالهم، يوقعهم في كثير من اللوازم الباطلة. يقول شيخ الإسلام: «النفاة خالفوا العلم الضروري، فإن كون العبد مريداً فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً أمر حادث بعد أن لم يكن، فإما أن يكون له محدِث وأما أن لا يكون له محدِث، فإن لم يكن له محدِث لزم حدوث

---

(١) منهاج السنة (٣/ ٢٣٩ – ٢٤٠). وانظر: شفاء العليل (٢/ ٧٩٠- ٧٩١). و(٢/ ٨٢٠- ٨٢١).

(٢) انظر: الخلاف العقدي في باب القدر (٢٠). للدكتور/ عبد الله بن محمد القرني، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، بيروت، لبنان.

الحوادث بلا محدِث، وإن كان له محدِث فإما أن يكون هو العبد، أو الرب تعالى، أو غيرهما.

فإن كان هو العبد، فالقول في إحداثه لتلك الفاعلية كالقول في إحداث أحداثها، ويلزم التسلسل، وهو هنا باطل بالاتفاق؛ لأن العبد كائن بعد أن لم يكن، فيمتنع أن تقوم به حوادث لا أول لها. وإن كان غير الله، فالقول فيه كالقول في العبد، فتعين أن يكون الله هو الخالق لكون العبد مريداً فاعلاً، وهو المطلوب)[١].

الشبهة الثالثة: قولهم: لو كان الله تعالى هو خالق الشرور لوجب أن يشتق له من ذلك اسمـًا.

يقول القاضي عبد الجبار: «إن في أفعال العباد ما هو ظلم وجور، فلو كان الله تعالى خالقـًا لها لوجب أن يكون ظالمـًا جائراً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»[٢]. ويقول في شيوخ المعتزلة أنهم قالوا: «إن من الخير منه، إذا كان خيراً من الخير، فيجب أن يكون من الشر منه شر من الشر. والغرض من بذلك أن من الشر منه أولى بالذم من الشر»[٣].

(١) منهاج السنة (٣/ ٢٣٦). وانظر: المرجع نفسه (٣/ ١١٦-١١٧). وانظر قريبـًا من هذا الكلام جداً في: شفاء العليل (٢/ ٩٦١ – ٩٦٣).

(٢) شرح الأصول الخمسة (٣٤٥). وانظر أيضـًا: المحيط بالتكليف (٢٨٧- ٢٨٨، و٢٦٠، وما بعدها. و٣٧٣). للقاضي عبد الجبار، جمع حسن بن متوية، تحقيق عمر السيد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٣) المغني (٨/ ٢٤٨).

يقال لهم: هذا من جهلكم وعدم تفريقكم بين ما ينسب لله تعالى ويوصف به، وبين ما يوصف به العبد، فالله تعالى ينسب إليه من حيث إنه خلقه وأنشأه وأبدعه، وينسب إلى العبد من حيث إنه فعله، ولا يلزم أن يتصف الخالق جل وعلا بما خلق في غيره وجعله فعلاً له؛ لأنه لا يوصف بالفعل إلا من قام به، فأنتم إنما أوتيتم من جهة عدم تفريقكم بين فعل الله تعالى ومفعوله، وبين فعل العبد وفعل الخالق، وكابرتم عن قبول القول الحق بأن جهة الإضافة مختلفة، فكان ضلالكم.

يقول شيخ الإسلام: «وقد علم بصريح المعقول أن الله تعالى إذا خلق صفة في محل كانت صفة لذلك المحل، فإذا خلق حركة في محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها، وإذا خلق لوناً أو ريحاً في جسم كان هو المتلون المتروح بذلك، وإذا خلق علماً أو قدرة أو حياة في محل كان ذلك المحل هو العالم القادر الحي، فكذلك إذا خلق إرادة وحباً وبغضاً في محل كان هو المريد المحب المبغض، وإذا خلق فعلاً لعبد كان العبد هو الفاعل، فإذا خلق له كذباً وظلماً وكفراً كان العبد هو الكاذب الظالم الكافر، وإن خلق له صلاة وصوماً وحجاً كان العبد هو المصلي الصائم الحاج. والله تعالى لا يوصف بشيء من مخلوقاته، بل صفاته قائمة بذاته، وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم...»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١٢٦). ولمزيد انظر: المرجع نفسه (٨/ ١١٨). وما بعدها. وشفاء العليل (٢/ ٨٧٥-٨٨٠). وانظر ما ذكره ابن حزم في رد هذه الشبهة: الدرة (٣٠٥ - ٣٠٦). وانظر (٣٠٣-٣٠٤). تحقيق الدكتور/ أحمد بن ناصر الحمد، والدكتور/ =

وإذا تقرر ضعف شبهات المعتزلة وبطلانها، فإن مما استدلوا به على نفي خلق الله تعالى لأفعال العباد -لاشتمالها على الشر والقبيح- حديث: «والشر ليس إليك». وفي المبحث التالي بيان للمراد من هذا النفي، مما يزيد مذهبهم تهافتـًا وبطلانـًا.

المبحثُ السادس

المقصود بنفي الشر عن الله تعالى في قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»(١)

إن من عقائد المعتزلة وأصولهم قولهم بالعدل، ومن مرادهم به: أن أفعال الله تعالى كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح، والشر من القبائح، وأفعال العباد فيها القبيح والظلم والجور والشر، ومن ثم قالوا: إن العباد يخلقون أفعالهم، ويزعم المعتزلة أن العقل والنقل يدل على قولهم هذا، ومن الأخبار التي استدلوا بها على قولهم، قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»، وفهموا منه نفي خلق الله تعالى لأفعال العباد؛ لأن فيها الشرور والقبائح. ومن تأمل الحديث النبوي وجد أنه لا حجة لهم فيه، بل هو ينقض ما زعموه، ويبطل ما ذهبوا إليه، فقد اشتمل على إثبات الربوبية والألوهية والبراءة من كل

=

سعيد بن عبد الرحمن القزقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مكتبة التراث، مكة المكرمة، السعودية.

(١) ذكرت في هذه المطالب بعض أقوال الأشاعرة؛ لكونهم وافقوا أهل السنة والجماعة في أن الله تعالى خالق أفعال العباد، وإن خالفوهم في نفي القدرة.

حول وقوة إلا بالله تعالى، ويضاف لذلك أن أهل السنة والجماعة من سلف الأمة ومن تبعهم ومن وافقهم ذكروا المعاني التي يُحمل عليها قوله ﷺ، مع الاعتقاد الجازم بأن الله جل وعلا خالق كل شيء، وأن الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، كله من الله تعالى، كما دلت على ذلك النصوص وجاءت أقوال علماء السلف، ومن تبعهم تبيّن ذلك، وقد سبقت الإشارة إلى شيء منها، وفيها أيضـًا الرد على القدرية من المعتزلة وغيرهم، وهذا أيضـًا ما ذكروه في بيان معنى هذا الحديث رداً على زعم القدرية، ولو ذهب الواحد منا يتتبع كلامهم في القديم والحديث لطال به المقام، ولكن هذه إشارات يقع بها بإذن الله تعالى المرام.

المطلب الأول

قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»؛ أي أن هذا الشر بسبب ذنوب العباد، فوقعت نسبته إليهم، مع أنك سبحانك الخالق لكل شيء

إن النصوص الشرعية قد جاءت ببيان الحق على أكمل وجه، ومن ذلك أن الله تعالى خالق كل شيء، «وجميع المخلوقات عباد لله تعالى فقراء إليه مماليك له، وهو ربهم ومليكهم وإلههم، لا إله إلا هو، فالمخلوق ليس له من نفسه شيء أصلا، بل نفسه وصفاته وأفعاله وما ينتفع به أو يستحقه وغير ذلك إنما هو من خلق الله، والله عز وجل رب ذلك كله ومليكه، وبارئه وخالقه، ومصوره»[١]. وما من ذرة كائنة في الأرض ولا في السماء إلا بقدرته

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٥ – ١٦).

وإرادته، وهذا من الإقرار له بالربوبية. ومن المسلّم به أن زوال النعم، ووقوع العقوبة والجزاء، إنما هو بسبب الكفر والظلم والمعاصي، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، وقال جل وعلا: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي ذكرت هلاك هؤلاء بسبب ما ارتكبوه فحقت عليهم سنة الله تعالى.

يقول ابن القيم: «وهل زالت عن أحد قطُّ نعمة إلا بشؤم معصيته، فإن الله إذا أنعم على عبد بنعمة حفظها عليه، ولا يغيرها عنه حتى يكون هو الساعي في تغييرها عن نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، ومن تأمل ما قص الله تعالى في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم، وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله، وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره، وما أزال الله عنهم من نعمه، وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب»[1].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧١٢). تحقيق: علي بن محمد العمران، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية. وقد بيّن هذه الأمور في مواطن =

وإذا تقرر هذا فإن قوله ﷺ: «والشر ليس إليك» معناه: وإن كنت أنت خالقه ومقدره، فإنه ينسب للعبد؛ لأنه محل لهذا الشر، ولا ريب أنه إذا خلق الله تعالى الشر في جهة نسب إليها؛ لأنه قائم بها. ولا أحد ينازع في أن الذنوب إنما هي في أفعال العباد، وعند أهل الحق أن هذا الشر والعقاب إنما وقع بسبب ذنوبهم، ولذلك أضيف الخير إلى الله تعالى، وأضيف الشر إلى محله، وليس في هذه الإضافة نفي لأن يكون تعالى خالقه، وإنما نُسب إلى العباد لمباشرتهم تلك الذنوب. «فإن قيل: فإن الله عز وجل خص الخير بإضافته إلى نفسه... فالجواب: إن معنى تخصيص الخير بإضافته إلى الله عز وجل للاعتراف له بأن النعم كلها من عنده، لا رفع أن يكون الشر من عنده، كما أن تخصيص السماوات والأرضين بإضافتهما إلى خلقه، إنما هو الاعتراف بأن كل موجود سواه وإن عظم ولم يقدُر العباد قدره، فالله خالقه، لا رفع أن يكون الذر والهباء من خلقه»(١).

وأما قول النبي ﷺ: «والشر ليس إليك»: «فإن معناه: أي أن الإحسان منك وإليك، أي أن ما يصيبنا من خير وحسن فأنت مؤاتيه، والمنعم، وما يكون منا من طاعة وفعل حسن، فأنت المقصود به، وعبادتك هي المراد

=

عديدة من كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر على سبيل المثال: المرجع نفسه (٢/ ٧١٠ – ٧١٢). طريق الهجرتين وباب السعادتين (٩٤) وما بعدها.

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٣٢٦). الحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار الفكر.

منه. فأما ما يصيبنا من خير وشر فإنه وإن كان منك أيضا فإن ذلك بشرور أنفسنا وهي ما تقع من أعمالنا من سيئ وقبيح، فلست المقصود به...»[١].

وكل ما جرى على العبد من المعاصي فهو خلق من الله تعالى، وهو عدل منه تعالى، ومعصية من العبد، وكل ما جرى من العبد من الطاعات فهو خلق من الله تعالى، وهو منه فضل، فهما من العبد طاعة ومعصية، ومن الرب فضل وعدل[٢].

يقول شيخ الإسلام: «الشر ليس إلى الله بوجه من الوجوه؛ فإنه -وإن كان الله خالق أفعال العباد- فخلقه للطاعات نعمة ورحمة، وخلقه للسيئات له فيه حكمة ورحمة، وهو مع هذا عدل منه، فما ظلم الناس شيئًا، ولكن الناس ظلموا أنفسهم»[٣]. فالشر من جهة إضافته إلى العبد.

أما أفعاله جل وعلا فلا شر فيها بحال، وكل ما خلق ففيه حكمة بالغة. يقول ابن القيم: «وإنما يتبين هذا ببيان وجود الحكمة في كل ما خلقه الله وأمر به، وبيان أنه كله خير من جهة إضافته إليه سبحانه، وأنه من تلك

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٣٢٦ - ٣٢٧). وانظر: مختصر كتاب المنهاج في شعب الإيمان (٧١ - ٧٤)، اختصره وعلق عليه علي الشربجي، محيي الدين نجيب، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا. وانظر: القضاء والقدر (٢٧٦). للبيهقي.

(٢) انظر: التبصير في الدين (٩٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٣٤). وانظر (٣٣٥).

الإضافة خير وحكمة، وأن جهة الشر منه من جهة إضافته إلى العبد»[١]. والحق أنه يمتنع إضافة الشر إليه جل وعلا بوجه، فلا يضاف إلى ذاته ولا صفاته ولا أسمائه ولا أفعاله، فإنه منزه عن كل شر و«ليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها، وكونها ذنوباً تأتي من نفس العبد، فإن سبب الذنب: الظلم والجهل، وهما من نفس العبد، كما أن سبب الخير: الحمد والعلم والحكمة والغنى، وهي أمور ذاتية للرب، وذات الرب سبحانه مستلزمة للحكمة والخير والجود، وذات العبد مستلزمة للجهل والظلم، وما فيه من العلم والعدل فإنما حصل له بفضل الله عليه...»[٢].

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾؛ أي بسبب ذنوبك، فالذنوب التي يعملها هي من نفسه، وإن كانت مقدرةً عليه[٣]. فهذه السيئات عقوبة ذنب من نفس العبد، باعتبار أن عمله السيئ كان سببها[٤]، فهي عقوبة له على عدم فعله ما خلقه الله تعالى

---

(١) طريق الهجرتين (٩٤).

(٢) طريق الهجرتين (٩٥). وانظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (٦٩١ – ٦٩٣).

(٣) انظر في ذلك: الحسنة والسيئة (٣٦ – ٣٧). وفيه: «وكذلك قوله: (فمن نفسك) يتناول العقوبات على الأعمال، ويتناول الأعمال، مع أن الكل بقدر الله». المرجع نفسه (٣٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ٩٦ – ٩٧). وانظر: (١٤/ ٣٤١). و(١٤/ ٣٧٥). و(١٤/ ٤٢٤). فتح الحميد في شرح التوحيد (٤/ ١٩٠٧). تيسير العزيز الحميد (٦٩١).

له، وفطره عليه(١)، والعباد يظلمون أنفسهم بعدم عملهم بالحسنات، فهذا ليس مضافاً إليه، وعملهم للسيئات خلقه عقوبة لهم على ترك فعل الحسنات التي خلقهم لها، وأمرهم بها، فكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل(٢). ومع ذلك قد تكون -مع حسن العاقبة- نعمة، وهي نعمة على غيره بما يحصل له بها من الاعتبار والهدى والإيمان(٣).

المطلب الثاني

قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»؛ أي لا ينسب ولا يضاف إليك تأدباً معك، وإلا فأنت سبحانك خالق كل شيء.

من الأمور التي يُفسر بها قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»؛ أي لا ينسب إلى الله تعالى تأدباً معه، ولا يعني هذا نفي أن يكون هو خالقه، وقد ذكر العلماء وشراح الحديث هذا المعنى للحديث النبوي كثيراً، وأن المقصود منه التأدب مع الله تعالى؛ لا أنه جل وعلا لم يخلق الشر. يقول البيهقي(٤): معناه «الإرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله عز وجل، والمدح له

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٣١). وانظر: ما بعدها.

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٣٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٠٦ – ٣٠٧).

(٤) ذكر أنه أخبر به عن أبي سليمان الخطابي. والبيهقي هو الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن الحسين، ولد سنة ٣٨٤هـ، كان زاهداً، له تصانيف نافعة، منها: السنن الكبير، الأسماء والصفات، ومناقب أحمد، مات سنة ٤٥٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٣-١٧٠).

بأن يضاف إليه محاسن الأمور دون مساويها، ولم يقع القصد به إلى إثبات شيء وإدخاله تحت قدرته ونفي ضده عنها، فإن الخير والشر صادران عن خلقه وقدرته لا مُوجد لشيء من خلقه غيره، وقد يضاف محاسن الأمور ومحامد الأفعال إلى الله عز وجل عند الثناء عليه دون مساويها ومذامها...كما يضاف معاظم الخليقة إليه عند الثناء والدعاء فيقال: رب السموات والأرضين، كما يقال: يا رب الأنبياء والمرسلين، ولا يحسن أن يقال: يا رب الكلاب ويا رب القردة والخنازير ونحوها من سفل الحيوان وحشرات الأرض، وإن كانت إضافة جميع المكونات إليه من جهة خلقه لها والقدرة عليها شاملة لجميع أصنافها»[١].

وذكر قريباً من هذا المعنى غير واحد[٢]. وقد جاءت الآيات القرآنية

---

(١) القضاء والقدر (٢٧٥ – ٢٧٦). وانظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (١٦٤ – ١٦٥). له أيضاً، حققه وعلق عليه أحمد بن إبراهيم أبو العينين، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. وفيه: «وأما ما روي في حديث دعاء الاستفتاح: «والخير في يديك، والشر ليس إليك» فإنما معناه الإرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله عز وجل والمدح له، بأن يضاف إليه محاسن الأمور، دون مساويها، ولم يقصد به إدخال شيء في قدرته، ونفي ضده عنه». الشافي في شرح مسند الشافعي (١/ ٣٥٦). لابن الأثير، تحقيق: عامر عبد الباسط الجزار، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر. وانظر: جامع الأصول (٣/ ١٣٩).

(٢) يقول الماتريدي: «وكذلك عند الناس لا يقال: يا خالق الخبائث والأنجاس ونحو ذلك، وإن كان هو في الحقيقة هو لكل شيء خالقاً... وأصل ذلك أنه يضاف إلى الله تعالى كل ما =

دالة على هذا المعنى، وفيها أمثلة كثيرة على وقوع مثل هذا السياق في مسألة الإضافة والنسبة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فالآية الكريمة ذكرت الخير دون الشر ليقع التأدب في الخطاب بإضافة الخير إليه دون الشر، مع أنه خالقهما جميعـًا، والآية دلت على القسمين معـًا؛ الشر والخير، وذلك بذكر نزع الملك والإذلال، وهما شر لمن لحق

=

كانت الإضافة إليه تخرج مخرج التعظيم أو مخرج الشكر، أو مخرج ذكر نعمه أو أمره، وما خرج على غير ذلك لا يضاف إليه، وإن كان في الحقيقة خلقه». التوحيد (٣١٢). ويقول القاري: «يقال الله خالق كل شيء، ولا يقال: خالق الكلب والخنزير أدبا مع الله تعالى، وهذا معنى قوله ﷺ: «الخير بيديك والشر ليس إليك»، مع اعتقاد أن الأمر كله لله وكل من عند الله» مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٣٢٦). علي القاري، تحقيق جمال عيتاني، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ويقول في موضع آخر: («والشر ليس إليك»: هذا الكلام إرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله تعالى، وأن يضاف إليه في محاسن الأشياء دون مساويها، وليس المقصود نفي شيء عن قدرته، يعني أو إثبات شيء لغيره، نقله السيد جمال الدين عن القاضي). مرقاة المفاتيح (٢/ ٤٩٥). ويقول: و(تقرر في المعتقد وتحرر في المعتمد أن الخير والشر كله من الله خلقـًا، ومن العبد كسبـًا، خلافـًا للخوارج والمعتزلة من أهل البدعة، نعم ينسب الشر إلى النفس أدبـًا مع الله تعالى كما قيل في قوله: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء]. وهذا معنى قوله: «الخير بيديك والشر ليس إليك»). مرقاة المفاتيح (٥/ ٢٣٨). وانظر (٥/ ٤٥٥). وانظر: شرح جوهرة التوحيد تحفة المريد (٩٩).

به، وختمت بما يدل على ذلك، يقول ابن القيم: «تناولت الآية ملكه وحده وتصرفه، وعموم قدرته، وتضمنت أن هذه التصرفات كلها بيده، وأنها كلها خير، فسلبه الملك عمن يشاء، وإذلاله من يشاء خير، وإن كان شراً بالنسبة إلى المسلوب الذليل، فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل والحكمة والمصلحة، لا يخرج عن ذلك، وهذا كله خير يحمد عليه الرب، ويثنى عليه به، كما يحمد ويثنى عليه بتنزيهه عن الشر، وأنه ليس إليه»(١).

وقريباً من هذا ما ذكره الشاطبي(٢) في قوله: «الأدب في ترك التنصيص على نسبة الشر إلى الله تعالى، وإن كان هو الخالق لكل شيء... ولم يقل: (بيدك الخير والشر) وإن كان قد ذكر القسمين معا؛ لأن نزع الملك والإذلال بالنسبة إلى من لحق ذلك به شر ظاهر، نعم قال في إثره: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]؛ تنبيها في الجملة على أن الجميع خلقه، حتى جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "والخير في يديك والشر ليس إليك"»(٣).

---

(١) شفاء العليل (٣/ ٩٧٥). وانظر: اللباب في علوم الكتاب (٥/ ١٣٢) لابن عادل الحنبلي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، الطبعة الثانية، ٢٠١١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) الإمام العلامة، كان صالحـًا، عفيفـًا، ورعـًا، حريصـًا على السنة، مات سنة ٧٩٠هـ، له العديد من المصنفات منها: الاعتصام، المجالس. انظر مقدمة كتاب الاعتصام (١/ ١٠- ١٢). المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، السعودية، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة (م١/ ج٢/ ٨٠ – ٨١). الشاطبي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وانظر: تحفة الأحوذي (٩/ ٢٣٢) للمباركفوري، ضبطها وصححها: خالد عبد الغني محفوظ، =

وفي البرهان وهو يتحدث عن أقسام الحذف، ذكر منه الاكتفاء(١) ومن أمثلته: «قوله: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ تقديره: [والشر]؛ إذ مصادر الأمور كلها بيده جل جلاله، وإنما آثر ذكر الخير؛ لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم إليه؛ أو لأنه أكثر وجودا في العالم من الشر؛ ولأنه يجب في باب الأدب ألا يضاف إلى الله تعالى»(٢). وهذا أمر تظاهرت عليه أقوال المفسرين والشراح وغيرهم(٣).

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى عن الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشعراء: ٧٨ – ٨٣].

=

الطبعة الثانية، ٢٠١١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(١) يقول الزركشي في تعريفه: «الثاني: الاكتفاء وهو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفى بأحدهما عن الآخر... ثم ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيف اتفق؛ بل لأن فيه نكتة تقتضى الاقتصار عليه». البرهان في علوم القرآن (٣/ ٨٨)، الزركشي، تحقيق: أحمد بن علي، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، دار الغد الجديد للطباعة والنشر، القاهرة، مصر. وانظر: الإتقان (٣/ ١٤٨)، السيوطي، تحقيق عبد الرحمن فهمي الزواوي، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

(٢) انظر: البرهان (٣/ ٨٩). الإتقان (٣/ ١٤٩).

(٣) انظر على سبيل المثال: البرهان في علوم القرآن (٤/ ٤٥). وانظر: ما بعدها. الموافقات (م١/ ج٢/ ٨١).

فنسب المذكور في الآيات لله رب العالمين، ونسب المرض إلى نفسه تأدبًا مع الخالق جل وعلا. يقول ابن القيم: «فنسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلى الله تعالى، ولما جاء إلى ذكر المرض قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ ولم يقل: أمرضني، وقال: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾». وهذا المعنى ذكره غير واحد[١]. والأمثلة عليه كثيرة[٢].

المطلب الثالث

قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»؛ أي أن الشر لا يضاف إليك على وجه الانفراد إجلالاً وتعظيماً لك، مع أنك سبحانك الخالق لكل شيء

إن من المعاني التي قد يُفسر بها الحديث: أن الشر لا يضاف لله تعالى على وجه الانفراد، وعند القول: إن الله تعالى خالق كل شيء، فهذا لفظ عام يشمل كل مخلوق، بما في ذلك الشر، ولكن لا يُضاف إليه تعظيمًا له جل في علاه، فلا يقال يا خالق الشر، ويا خالق الضر، ونحو ذلك، مع أنه تعالى هو خالقها. يقول الصابوني: «ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم-مع قولهم بأن الخير

---

(١) انظر على سبيل المثال: مرقاة المفاتيح (٢/ ٤٩٣). البرهان (٤/ ٤٥).

(٢) كما في قصة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقصة الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، والجن، وأواخر الفاتحة، وغير ذلك. انظر على سبيل المثال: بدائع الفوائد (٢/ ٤٢٠-٤٢١). عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٨٥) للصابوني، دراسة وتحقيق الدكتور/ ناصر بن عبدالرحمن الجديع، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. البرهان في علوم القرآن (٤/ ٤٥- ٤٨). مرقاة المفاتيح (٢/ ٤٩٣).

والشر من الله وبقضائه- أنه لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الانفراد فيقال: يا خالق القردة والخنازير، والخنافس والجعلان -وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه- وفي ذلك ورد قول الرسول ﷺ في دعاء الاستفتاح: «تباركت وتعاليت، والشر ليس إليك». ومعناه -والله أعلم-: والشر ليس مما يضاف إليك إفراداً وقصداً، حتى يقال لك في المناداة: يا خالق الشر، ويا مقدر الشر- وإن كان هو الخالق والمقدر لهما جميعـًا»[١].

وذكر هذا المعنى للحديث غير واحد من أهل العلم، من المتكلمين وغيرهم، يقول النووي: «معناه: لا يضاف إليك على انفراده، فلا يقال: يا خالق القردة والخنازير، ويا رب الشر ونحو هذا، وإن كان يقال: يا خالق كل شيء ورب كل شيء، وحينئذ يدخل الشر في العموم»[٢]. وذكر قريبـًا من هذا: السيوطي[٣]، وزكريا الأنصاري[١]، والشربيني[٢].

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٨٤ – ٢٨٥).

(٢) المجموع شرح المهذب (٣/ ٤٠)، ضبط نصه وعلق عليه: محمد بن رياض الأحمد، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان وقال: «حكاه الشيخ أبو حامد عن المزني، وقاله أيضـًا غيره». وانظر: مسلم بشرح النووي (٦/ ٣٠٦). عون المعبود (٢/ ٢٧٠)، محمد أشرف الصديقي آبادي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م،دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، مؤرخ أديب، له الكثير من المؤلفات؛ منها: الدر المنثور، تاريخ الخلفاء، تدريب الراوي، ولد سنة ٨٤٩هـ، ومات سنة ٩١١هـ. انظر: الأعلام (٣/ ٣٠١-٣٠٢). انظر قوله في كتاب: الديباج على صحيح مسلم بن =

المطلب الرابع

قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»؛ أي أنك لا تخلق شراً محضاً، بل هو شر نسبي إضافي، فيه نفع عظيم، وحكمة بالغة.

إن العاقل إذا تأمل الأمور التي يكون ظاهرها شر فإنه يخرج بيقين أنها تحمل النفع، وهذا يوفق له من أبصر الأمور بروية، وأدرك الواقع بلا مكابرة، والأمثلة على ذلك كثيرة، والشواهد من واقع الإنسان تجعله من المسلَّمات، بل إن إسماء الله الحسنى تدل على استحالة وقوع الشر في أفعاله جل وعلا، فهو الرحمن الرحيم.

=

الحجاج (٢/ ٣٠٦)، محمد عدنان درويش، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(١) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، ولد في سنيكة، بمصر، وتعلم بالقاهرة، له العديد من المؤلفات؛ منها: تحفة الباري على صحيح البخاري، شرح ألفية العراقي، فتح الجليل، وهو تعليق على تفسير البيضاوي، وشرح شذور الذهب في النحو، مات سنة ٩٢٦هـ. انظر: مقدمة أسنى المطالب (١/ ٦)، هامش رقم (٢)، ضبط نصه وخرج أحاديثه: الدكتور/ محمد محمد تامر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. انظر قوله في كتاب: أسنى المطالب (١/ ٤٢٣).

(٢) شمس الدين محمد بن محمد الشربيني، له العديد من المؤلفات منها: شرح التنبيه، مناسك الحج، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، كانت وفاته سنة ٩٧٧هـ. انظر مقدمة مغني المحتاج (١/ ٧)، ضبط نصه وحققه: الدكتور/ محمد محمد تامر، شريف عبد الله، دار الحديث، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م، القاهرة، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة. انظر قوله في كتاب: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/ ٣٦٨).

يقول الغزالي: «لعلك تقول: ما معنى كونه تعالى رحيماً، وكونه تعالى أرحم الراحمين، والرحيم لا يرى مبتلى ولا مضروراً ومعذباً ومريضاً وهو يقدر على إماطة ما بهم إلا ويبادر إلى إماطته، والرب تعالى قادر على كفاية كل بلية، ودفع كل فقر، وإماطة كل مرض، وإزالة كل ضرر. والدنيا طافحة بالأمراض والمحن والبلايا، وهو قادر على إزالة جميعها، وتارك عباده ممتحنين بالرزايا والمحن؟ فجوابك أن الطفل الصغير قد ترق له أمه فتمنعه عن الحجامة، والأب العاقل يحمله عليها قهراً، والجاهل يظن أن الرحيم هي الأم دون الأب. والعاقل يعلم أن إيلام الأب إياه بالحجامة من كمال رحمته وعطفه وتمام شفقته، وأن الأم له عدو في صورة صديق، وأن الألم القليل إذا كان سبباً للّذة الكثيرة لم يكن شراً، بل كان خيراً. والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة، وليس في الوجود شر إلا وفي ضمنه خير، لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه، وحصل ببطلانه شراً أعظم من الشر الذي يتضمنه، فاليد المتآكلة قطعها شر في الظاهر، وفي ضمنها خير جزيل، وهو سلامة البدن، ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن، ولكان الشر أعظم، وقطع اليد لأجل سلامة البدن شر في ضمنه خير، ولكن المراد الأول السابق إلى نظر القاطع السلامة التي هي خير محض، ثم لما كان السبيل قطع اليد قصد لأجله، وكانت السلامة مطلوبة لذاتها أولاً، والقطع مطلوباً لغيره ثانياً لا لذاته، فهما داخلان تحت الإرادة، ولكن أحدهما مراد لذاته والآخر مراد لغيره. والمراد لذاته قبل المراد لغيره، والخير مقتضى بالذات، والشر مقتضى لغيره، وكل مقدر، وليس في ذلك ما ينافي الرحمة أصلاً.

فالآن إن خطر لك نوع من الشر لا ترى تحته خيراً، أو خطر لك أنه كان تحصيل ذلك الخير ممكناً لا في ضمن الشر...فاتهم عقلك في هذين الطرفين، ولا تشكن أصلاً في أنه أرحم الراحمين، وفي أنه سبقت رحمته غضبه، ولا تسترِب في أن مريد الشر للشر لا للخير غير مستحق لاسم الرحمة...»[(١)].

وقد أطال ابن القيم النفَسَ وجاء بالنفيس في هذه المسألة، ومما قال: «إن مَن أسماؤه كلها حسنى، وأوصافه كلها كمال، وأفعاله كلها حكم، وأقواله كلها صدق وعدل، يستحيل دخول الشر في أسمائه أو أوصافه، أو أفعاله أو أقواله...»[(٢)].

ويقول: والخالق جل وعلا لا يأتي أبداً إلا بالخير، «ويستحيل خلاف ذلك في حقه، كما يستحيل عليه خلاف كماله، وقد أفصح أعرف الخلق بربه عن هذا بقوله: «والشر ليس إليك»؛ أي لا يضاف إليك، ولا ينسب إليك، ولا يصدر منك، فإن أسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها كمال، وأفعاله كلها فضل وعدل، وحكمة ورحمة ومصلحة، فبأي وجه ينسب

---

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٤٣-٤٤)، ضبطه وخرج آياته، أحمد قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٨). وانظر: (٢/ ٢٤٢). الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر. وانظر: التفسير القيم (٢٣ – ٢٥). ابن القيم، جمع وإعداد محمد أويس الندوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر.

الشر إليه سبحانه وتعالى؟ فكل ما يأتي منه فله عليه الحمد والشكر وله فيه النعمة والفضل»[١]. ويقول: «وإنما يتبين هذا ببيان وجود الحكمة في كل ما خلقه الله وأمر به، وبيان أنه كله خير من جهة إضافته إليه سبحانه، وأنه من تلك الإضافة خير وحكمة، وأن جهة الشر منه من جهة إضافته إلى العبد، كما قال في دعاء الاستفتاح: «لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك»، فهذا النفي يقتضي امتناع إضافة الشر إليه تعالى بوجه، فلا يضاف إلى ذاته ولا صفاته ولا أسمائه ولا أفعاله، فإن ذاته منزهة عن كل شر، وصفاته كذلك؛ إذ كلها صفات كمال ونعوت جلال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وأسماؤه كلها حسنى ليس فيها اسم ذم ولا عيب، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وإحسان وعدل، لا تخرج عن ذلك البتة، وهو المحمود على ذلك كله، فيستحيل إضافة الشر إليه»[٢].

ولا ريب أن أهل السنة لا ينكرون وجود الشر في مفعولاته المنفصلة، فإنه خالق الخير والشر، ولكنهم يقولون: هو شر نسبي إضافي، وله فيه الحكمة البالغة. يقول ابن القيم: «هنا أمران ينبغي أن يكونا منك على بال؛ أحدهما: أن ما هو شر أو متضمن للشر فإنه لا يكون إلا مفعولاً منفصلاً، لا

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٢). وانظر: بدائع الفوائد (٢/ ٧١٨-٧٢٠). التفسير القيم (٥٢٨ -٥٢٩).

(٢) طريق الهجرتين (٩٤). وانظر: جلاء الأفهام (٣٤٩ – ٣٥٠)، ابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية.

يكون وصفًا له، ولا فعلاً من أفعاله. الثاني: أن كونه شراً هو أمر نسبي إضافيٌّ، فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به، وشر من جهة نسبته إلى من هو شر في حقه، فله وجهان هو من أحدهما خيرٌ، وهو الوجه الذي نُسِبَ منه إلى الخالق سبحانه وتعالى، خلقًا وتكوينًا ومشيئة، لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر بعلمها، وأطْلع من شاء من خلقه على ما شاء منها، وأكثرُ الناس تضيق عقولهم عن مبادئ معرفتها، فضلاً عن حقيقتها، فيكفيهم الإيمانُ المجمل بأن الله سبحانه هو الغني الحميدُ، وفاعل الشر لا يفعله إلا لحاجته المنافية لغناه أو لنقصه وعيبه المنافي لحمده، فيستحيل صدور الشر من الغني الحميد فعلا، وإن كان هو الخالق للخير والشر، فقد عرفت أن كونه شراً هو أمرٌ إضافي، وهو في نفسه خير من جهة نسبته إلى خالقه ومبدعه، فلا تغفل عن هذا الموضع، فإنه يفتح لك بابًا عظيمًا من معرفة الرب ومحبته، ويزيل عنك شبهات حارت فيها عقول أكثر الفضلاء»(١).

وضرب الأمثلة لبيان ذلك؛ ومنها: قطع يد السارق، فهو شر بالنسبة له، وخير محض بالنسبة إلى عموم الناس؛ لما فيه من حفظ أموالهم ودفع

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧١٩- ٧٢٠). وانظر: التفسير القيم (٥٢٨ – ٥٢٩). يقول ابن فورك عن الأشعري: إنه يقسّم سؤال السائل إذا قال: «هل تقولون: إن الشر من الله تعالى؟. فيقول: إن أردتم أنه منه خلقًا وإحداثًا على معنى أنه خلقه شراً لغيره، وصار الغير به شريراً فنعم، كما يجعل الضرر ضرراً لغيره، ويكون غيره المضرور به فيكون هو الضار به والمضر، كما قال المسلمون: لنا رب يضر وينفع». مقالات أبي الحسن (٩٨).

الضرر عنهم(١)، وخير بالنسبة إلى متولي القطع أمراً وحكماً؛ لأنه إحسان إلى العبيد عموماً بإتلاف العضو المؤذي لهم المضر بهم، فهو محمودٌ على حكمه بذلك، وأمره به. وكذلك الحكم بقتل من يصول عليهم في دمائهم وحرماتهم، وجلد من يصول عليهم في أعراضهم، فهو شر بالنسبة للصائل، وخيرٌ محض وحكمةٌ وعدل وإحسان إلى العبيد، وأما ما نُسب إلى الرب منها من المشيئة والإرادة والفعل فهو عين الخير والحكمة، فلا تناقض حكمتهُ رحمته، بل يضع رحمته وبِرّه وإحسانه موضعه، ويضع عقوبته وعدله وانتقامه وبأسه موضعه، وكلاهما مقتضى عِزته وحكمته وهو العزيز الحكيم، فلا يليق بحكمته أن يضع رضاه ورحمته موضع العقوبة والغضب، ولا يضع غضبه وعقوبته موضع رضاه ورحمته(٢).

والمقصود أن كل ما خلقه الله تعالى فيه حكمة، والشر الذي يكون فيه فهو شر إضافي نسبي مقيد، وليس شراً محضاً مطلقاً، وكلام العلماء يعضد بعضه بعضاً حول هذا المعنى، يقول شيخ الإسلام: «إن كان الشيء موجوداً كالألم وسبب الألم، فينبغي أن يعرف أن الشر الموجود ليس شراً على الإطلاق، ولا شراً محضاً، وإنما هو شر في حق من تألم به، وقد تكون مصائب قوم عند قوم فوائد(٣)...وليس في مخلوقات الله ما يؤلم الخلق كلهم

(١) انظر عن هذا أيضاً: القول المفيد (٣/ ٢٢٦).

(٢) انظر عن ذلك: بدائع الفوائد (٢/ ٧٢٠-٧٢١). وانظر: التفسير القيم (٥٢٩ -٥٣٠).

(٣) جاء في شرح العقيدة الطحاوية: بعد ذكر الحديث «والشر ليس إليك»؛ أي فإنك لا تخلق شراً محضاً، بل كل ما تخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر =

دائمـًا، ولا ما يؤلم جمهورهم دائمـًا، بل مخلوقاته إما منعمة لهم أو لجمهورهم في أغلب الأوقات، كالشمس والعافية، فلم يكن في الموجودات التي خلقها الله ما هو شر مطلقـًا عامـًا.

فعلم أن الشر المخلوق الموجود شر مقيد خاص، وفيه وجه آخر هو به خير وحسن، وهو أغلب وجهيه، كما قال تعالى: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]، وقال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقال [تعالى]: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقد علم المسلمون أن اللّه لم يخلق شيئـًا ما إلا لحكمة؛ فتلك الحكمة وجه حسنه وخيره، ولا يكون في المخلوقات شر محض لا خير فيه، ولا فائدة فيه بوجه من الوجوه؛ وبهذا يظهر معنى قوله: «والشر ليس إليك»»(١).

=

لبعض الناس، فهذا شر جزئي إضافي، فأما شر كلي أو شر مطلق، فالرب سبحانه وتعالى منزه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه». شرح الطحاوية (٢/ ٥١٧)، حققه وعلق عليه: الدكتور/ عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. وينظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٦٦) لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، الرياض، السعودية.

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٠- ٢١).

ويقول: «ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح: «والخير بيديك، والشر ليس إليك»، فإنه لا يخلق شراً محضـاً، بل كل ما يخلقهُ ففيه حكمةٌ، هو باعتبارها خيرٌ،

ولكن قد يكون فيه شرٌّ لبعض الناس، وهو شرٌّ جزئي إضافيٌّ، فأما شر كليٌّ، أو شر مطلقٌ، فالرب منزهٌ عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه»[١].

ولذلك فإن الشر الذي يظهر شراً لمن يراه، فيه حكمة بالغة ومنفعة، إما مباشرة وإما غير مباشرة، إما عاجلة وإما متأخرة، ثم هو شر بالنسبة للمخلوقين، لا للخالق جل وعلا.

كما أن الآيات القرآنية دالة على هذا المعنى، فما ذكر الشر إلا مقيداً وبصور معينة، مما يدفع أن يكون الشر شراً محضـاً لا خير فيه، ومن ثم يبطل قول المعتزلة الذين أنكروا خلق الله تعالى لأفعال العباد بحجة أن في أفعالهم شراً، والشر قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح، وكذا يتبيّن أن هذا

(١) الحسنة والسيئة (٦٠ –٦١). تحقيق: عادل شوشه، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، المنصورة، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة. مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٦٦). ولمزيد عن هذا انظر: شفاء العليل (٣/ ٩٨٥ – ٩٨٦)، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق ودراسة الدكتور/ أحمد بن صالح بن علي الصمعاني، والدكتور/ علي بن محمد بن عبد الله العجلان، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. جامع العلوم والحكم (٢/ ٦٧٢)، تحقيق الدكتور/ محمد الأحمدي أبو النور، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر.

الحديث لا يدل على مذهبهم. فالشر لم يضف إلى الله تعالى وحده، بل إما بطريق العموم، وإما أن يحذف فاعله، وإما أن يضاف إلى السبب، والأمثلة على ذلك من القرآن الكريم كثيرة، فمن أمثلة ما جاء بطريق العموم، قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الرعد: ١٦]، فإنه إذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق، وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم. ومن النوع الثاني: وهو بحذف فاعله، قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾ [الجن: ١٠]، فحذفوا فاعل الشر ومريده، وصرحوا بمريد الشر. وقوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧]، فذكر النعمة مضافة إليه سبحانه، والضلال منسوباً إلى من قام به، والغضب محذوفاً فاعله. ومن النوع الثالث وهو بإضافته إلى السبب: قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذه الأنواع(١).

وإذا تقرر أن الشر والضرر موجود، فإن ما يحصل منه مغمور بكثرة النفع، وهذا يدركه كل من أبصر وتدبر، يقول شيخ الإسلام: «إن ما حصل

(١) انظر عن ذلك: مجموع الفتاوى (٨/ ٩٤ – ٩٦). رسائل وفتاوى شيخ الإسلام (م٢/ ج٥/ ١٥٢)، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، حققه وعلق على حواشيه، محمد رشيد رضا، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر. بدائع الفوائد (٢/ ٧٢٤ – ٧٢٦)، وضرب أمثلة عديدة على ذلك من الآيات الكريمة. التفسير القيم (٥٣٢- ٥٣٤).

من الضرر أمر مغمور في جنب ما حصل من النفع، كالمطر الذي عم نفعه إذا خرب به بعض البيوت أو احتبس به بعض المسافرين والمكتسبين كالقصارين ونحوهم، وما كان نفعه ومصلحته عامة كان خيرا مقصودا ورحمة محبوبة وإن تضرر به بعض الناس»[(١)]. ويقول: «والضرر الذي يحصل به حكمة مطلوبة لا يكون شراً مطلقـًا، وإن كان شراً بالنسبة إلى من تضرر به؛ ولهذا لا يجيء في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ إضافة الشر وحده إلى الله»[(٢)].

ويقول: «وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكونُ فيه حكمة، بل فيه من الحكمة والرحمة ما يخفى على بعضهم، مما لا يُقدِّر قَدْرَهُ إلا الله. وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة يكون شراً كليـًا عامـًا، بل الأمورُ العامةُ الكليةُ، لا تكون إلا خيراً ومصلحة للعباد، كالمطر العام، وكإرسال رسول عام»[(٣)].

ويقول: «وكل ما خلقه مما فيه شر جزئي إضافي ففيه من الخير العام والحكمة والرحمة أضعاف ذلك، مثلُ إرسال موسى إلى فرعون، فإنه حصل به التكذيب والهلاك لفرعون وقومه، وذلك شر بالإضافة إليهم، لكن

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٩٤). وانظر: المرجع نفسه (٨/ ٩٣ -٩٤). رسائل وفتاوى شيخ الإسلام (م٢/ ج٥/ ١٥١).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٩٤).

(٣) الحسنة والسيئة (٦٢ – ٦٣). مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٦٨).

حصل به -من النفع العام للخلق إلى يوم القيامة، والاعتبار بقصة فرعون- ما هو خير عام، فانتفع بذلك أضعافُ أضعافِ من استضر به، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٥ – ٥٦]، وقال تعالى بعد ذكر قصته: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ [النازعات: ٢٦]، وكذلك محمد ﷺ، شقي برسالته طائفة من مشركي العرب وكفار أهل الكتاب، وهم الذين كذبوه، وأهلكهم الله تعالى بسببه، ولكن سعد بها أضعافُ أضعافِ هؤلاء. ولذلك من شقي به من أهل الكتاب كانوا مبدلين محرفين قبل أن يبعث الله محمداً ﷺ، فأهلك الله بالجهاد طائفة، واهتدى به من أهل الكتاب أضعافُ أضعافِ أولئك. والذين أذلهم الله من أهل الكتاب بالقهر والصَّغَار، أو من المشركين الذين أحدث فيهم الصغار، فهؤلاء كان قهرهم رحمة لهم؛ لئلا يعظم كفرهم، ويكثر شرهم.

ثم بعدهم حصل من الهدى والرحمة لغيرهم ما لا يحصيهم إلا الله، وهم دائمـًا يهتدي منهم ناس من بعد ناس ببركة ظهور دينه بالحجة واليد. فالمصلحة بإرساله وإعزازه، وإظهار دينه، فيها من الرحمة التي حصلت بذلك ما لا نسبة لها إلى ما حصل بذلك لبعض الناس من شر جزئي إضافي، لما في ذلك من الخير والحكمة أيضا؛ إذ ليس فيما خلقه الله سبحانهُ شرٌّ محضٌّ أصلا، بل هو شر بالإضافة»(١).

---

(١) الحسنة والسيئة (٧٢-٧٣). وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٧٦ -٢٧٧). وانظر: =

ويقول ابن القيم: «ومن تأمل هذا الوجود، علم أن الخير فيه غالب، فإن الأمراض -وإن كثرت- فالصحة أكثر منها، واللذات أكثر من الآلام، والعافية أعظم من البلاء، والغرق والحرق والهدم ونحوها -وإن كثرت- فالسلامة أكثر. ولو لم يوجد هذا القسم الذي خيره غالب لأجل ما يعرض فيه من الشر لفات الخير الغالب، وفوات الخير الغالب شر غالب؛ ومثال ذلك النار فإن في وجودها منافع كثيرة، وفيها مفاسد، لكن إذا قابلنا بين مصالحها ومفاسدها لم تكن لمفاسدها نسبة إلى مصالحها، وكذلك المطر والرياح والحر والبرد. وبالجملة فعناصر هذا العالم السفلي خيرها ممتزج بشرها، ولكن خيرها غالب...»(١). وهذا مما أقر به الفلاسفة، فهم يقولون: إن «الشر واقع بالتبع، فإن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل، شرٌّ كثير»(٢).

=

الحسنة والسيئة (٩٦- ٩٨). وانظر: (٩٩) وما بعدها. مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٩٩ - ٣٠١). و(١٤/ ٣١٥). وانظر ما ذكره ابن عثيمين بهذا الخصوص عن وقوع الشر ووجود الخير من وراء ذلك: القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/ ٢٢٣- ٢٢٦).

(١) شفاء العليل (٣/ ٩٩٨- ٩٩٩). وانظر: ما بعدها. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥١٨). ويقال: إن الشر قد يقدره الله تعالى على الإنسان ويحصل له به الخير، فالمرض شر، ولكن يحصل به للإنسان خير؛ لأنه يُكفر به عن سيئاته، ويرفع له في درجاته. انظر عن هذا ما ذكره الشيخ محمد بن صالح العثيمين في كتاب: التعليق على صحيح مسلم (٤/ ٢٣٦). الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

(٢) طوالع الأنوار من مطالع الأنظار (٢٠٢)، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق وتقديم عباس سليمان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الجيل، بيروت، لبنان.

وكذلك قال بعض أئمة الزيدية في ردهم على الثنوية، إذ إنهم يسلّمون بوجود الشر مع الخير ولا يلغي ذلك كونه خيراً، ووجود الخير مع الشر ولا يلغي ذلك كونه شراً، ومما قاله أحد علمائهم(١): «ألم تر أن الظلمة ربما نفعت فحمدت، وذلك إذا استترت الأبرار بها عن ظلم الظالمين فسلمت، وطلبت فيها وبها البردَ فأدركته في طلبها، فهذا منها نفع ظاهر في دنيا ودين، يراه بينا من أمرها كل ذي عين وقلب رصين، ثم تعود منافعها مضارا إذا أعطب هذا منها أشراراً»(٢). ويقول: «وكذلك أحوال النور، في جميع ما يرى من الأمور، ربما نفع فيها ثم عاد بالضرر عليها»(٣).

ويقول: «ربما ضرنا النور في أكثر موجودات الأمور، ولما يوجد من نفع قليل غيره، أنفع مما يوجد من أكثر كثيره، لثمرة أنفع في الغداة لآكلها من الأنوار في الغداة كلها...إن النور لأدل على طلبات الأشرار، وأكشف لهم عن خفيات ما يبغون... وإن كان دليلُ عماة الظلمة -على ما ثبتوه أصلاً من الظلمة- ضرّ الظلمة في بعض أمورها، لربما منعت كثيراً من الشرور

(١) هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي، ولد سنة ١٦٩هـ، ومات سنة ٢٤٦هـ، من علماء الزيدية، له العديد من المؤلفات منها: كتاب العدل والتوحيد الكبير، كتاب الرد على المجبرة. انظر ترجمته في كتاب: رسائل القاسم بن إبراهيم الرسي، (٨٣-٨٥). تحقيق ودراسة: إمام حنفي عبد الله، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

(٢) رسائل القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي (١٠١).

(٣) رسائل القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي (١٠١).

بستورها، فلم تجد لمنعها بسواتر ظلامها الآثمة سبيلاً إلى تناول آثامها. ولسنا نجد عياناً نورهم من المضار معرى، ولا ظلامهم في جميع الأحوال مضراً، إلا أن يكون نورهم عندهم غير النور المعقول! فيصيروا بعد إثبات أصلين إلى إثبات أصول...»(١).

ثم إن الشر- كما يقول ابن القيم- لا يكون إلا بانقطاع نسبته لله تعالى، فالشر ليس في خلقه وفعله جل وعلا، بل يكون في بعض مخلوقاته ومفعولاته(٢). وذكر بعض الأسماء مثل: القدوس السلام العزيز الجبار المتكبر العلي الحميد، وبيّن دلالتها على تنزيه الخالق جل وعلا عن كل شر، وعن كل عيب، وعن كل نقص(٣). ثم قال: «فأسماؤه الحسنى تمنع نسبة الشر والسوء والظلم إليه، مع أنه سبحانه الخالق لكل شيء، فهو الخالق للعباد وأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم، والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء، والرب تعالى هو الذي جعله فاعلاً لذلك، وهذا الجعل منه عدل وحكمة وصواب، فجعله فاعلاً خير، والمفعول شر وقبيح. فهو سبحانه بهذا الجعل قد وضع الشيء موضعه لما له في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها، فهو خير وحكمة ومصلحة، وإن كان وقوعه من العبد عيبا ونقصا وشراً»(٤).

---

(١) رسائل القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي (٨٩).

(٢) انظر ما ذكره ابن القيم عن ذلك: شفاء العليل (٣/ ٩٧٥ – ٩٧٦).

(٣) انظر في ذلك: شفاء العليل (٣/ ٩٧٧- ٩٨٣).

(٤) شفاء العليل (٣/ ٩٨٢ – ٩٨٣).

كما أن الواقع يشهد بهذا ويدل عليه، فإذا وضع الشيء في موضعه اللائق به أضحى مقبولاً، وحكم عليه بأنه مقتضى الحكمة، وإن لم فلا، ويضرب ابن القيم الأمثلة على ذلك فيقول: «وهذا أمر معقول في الشاهد، فإن الصانع الخبير إذا أخذ الخشبة العوجاء والحجر المكسور واللبنة الناقصة، فوضع ذلك في موضع يليق به ويناسبه، كان ذلك منه عدلاً وصواباً يمدح به، وإن كان في المحل عوج ونقص وعيب يذم به المحل. ومن وضع الخبائث في موضعها ومحلها اللائق بها، كان ذلك حكمة وعدلاً وصواباً، وإنما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها، فمن وضع العمامة على الرأس، والنعل في الرجل، والكحل في العين، والزبالة في الكناسة، فقد وضع الشيء موضعه، ولم يظلم النعل والزبالة؛ إذ هذا محلهما»[1].

ثم اعلم أن دخول الشر على الأمور الوجودية إنما هو بسبب النسبة والإضافة، فيوصف بالشر؛ لأنه أضيف إلى محله القائم به، فالله تعالى خالقه، والمحل القائم به، المضاف إليه، موصوف به، ولهذا فالأمور الوجودية ليست شروراً بالذات، بل بالعرض، فيكون الشر الوجودي الحاصل شراً إضافي فيها، ومن الأمثلة على ذلك: القهر والغلبة، فإن وضعت في مكانها كانت خيراً، وإن أدت إلى الظلم كانت في غير موضعها، ومن ثم تكون شراً. وكذلك ماء جار في نهر إلى أرض يسقيها وينفعها، فكماله في جريانه حتى يصل إليها، فإذا عدل به عن مجراه وطريقه إلى أرض

---

(١) شفاء العليل (٣/ ٩٨٤).

يضرها ويخرب دورها، كان الشر في العدول به عما أعد له، وصار ذلك شراً إضافياً نسبياً. وكذلك النار كمالها في إحراقها، فإذا أحرقت ما ينبغي إحراقه فهو خير، وإن صادفت ما لا ينبغي إحراقه فأفسدته فهو شر إضافي بالنسبة إلى المحل المعين. فظهر أن دخول الشر في الأمور الوجودية إنما هو بالنسبة والإضافة، لا أنها من حيث ذاتها ووجودها، فإذا أضيف إلى غير الله، كان شراً بهذه النسبة والإضافة، وكذلك كل ما وجوده كفر وشرك إنما كان شراً بإضافته إلى ما جعله كذلك، كتعظيم الأصنام، فالتعظيم من حيث هو تعظيم لا يمدح ولا يذم إلا باعتبار متعلقه، فإذا كان تعظيماً لله وكتابه ودينه ورسوله كان خيراً محضاً، وإن كان تعظيماً للصنم وللشيطان فإضافته إلى هذا المحل جعلته شراً، كما أن إضافة السجود إلى غير الله جعلته كذلك(١).

يقول ابن القيم: «فاعلم أن الشر كله يرجع إلى العدم؛ أعني عدم الخير وأسبابه المفضية إليه، وهو من هذه الجهة شر، وأما من جهة وجوده المحض فلا شر فيه. مثاله: أن النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة، وإنما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها، فإنها خلقت في الأصل متحركة لا تسكن، فإن أعينت بالعلم وإلهام الخير تحركت، وإن تركت تحركت بطبعها إلى خلافه، وحركتها من حيث هي حركة خير، وإنما تكون شراً بالإضافة، لا من حيث هي حركة، والشر كله ظلم، وهو وضع

---

(١) انظر عن ذلك: شفاء العليل (٣/ ٩٨٦ – ٩٩٢). وانظر ما بعدها. وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٢) وما بعدها.

الشيء في غير موضعه، فلو وضع في موضعه لم يكن شراً. فعلم أن جهة الشر فيه نسبة إضافية، ولهذا كانت العقوبات الموضوعات في محالها خيراً في نفسها، وإن كانت شراً بالنسبة إلى المحل الذى حلت به، لما أحدثت فيه من الألم الذي كانت الطبيعة قابلة لضده من اللذة، مستعدة له، فصار ذلك الألم شرا بالنسبة إليها، وهو خير بالنسبة إلى الفاعل، حيث وضعه موضعه، فإنه سبحانه لا يخلق شرا محضا من جميع الوجوه والاعتبارات، فإن حكمته تأبى ذلك، بل قد يكون ذلك المخلوق شراً ومفسدة ببعض الاعتبارات، وفي خلقه مصالح وحكم باعتبارات أُخَر أرجح من اعتبارات مفاسده، بل الواقع منحصر في ذلك، فلا يمكن في جناب الحق جل جلاله أن يريد شيئًا يكون فساداً من كل وجه بكل اعتبار، لا مصلحة في خلقه بوجه ما، هذا من أبين المحال، فإنه سبحانه بيده الخير، والشر ليس إليه، بل كل ما إليه فخير، والشر إنما حصل لعدم هذه الإضافة والنسبة إليه، فلو كان إليه لم يكن شراً، فتأمله، فانقطاع نسبته إليه هو الذي صيره شراً»(١).

وإن قيل فلم تنقطع نسبته إليه خلقـًا ومشيئة، قيل: «هو من هذه الجهة ليس بشرٍّ، فإن وجوده هو المنسوب إليه، وهو من هذه الجهة ليس بشرّ، والشر الذي فيه: من عدم إمداده بالخير وأسبابه، والعدم ليس بشيء، حتى ينسب إلى من بيده الخير، فإن أردت مزيد إيضاح ذلك، فاعلم أن أسباب الخير ثلاثة: الإيجاد، والإعداد، والإمداد، فهذه هي الخيرات وأسبابها،

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٤٧-١٤٨).

فإيجاد السبب خير، وهو إلى الله، وإعداده خير، وهو إليه أيضا، وإمداده خير، وهو إليه أيضا، فإذا لم يحدث فيه إعداد ولا إمداد حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس إلى الفاعل، وإنما إليه ضده. فإن قلت: فهلا أمده إذ أوجده؟ قلت: ما اقتضت الحكمة إيجاده وإمداده فإنه سبحانه يوجد ويمده، وما اقتضت الحكمة إيجاده وترك إمداده: أوجده بحكمته ولم يمده بحكمته، فإيجاده خير، والشر وقع من عدم إمداده. فإن قلت: فهلا أمدّ الموجودات كلها؟ قلت: فهذا سؤال فاسد، يظن مورده أن التسوية بين الموجودات أبلغ في الحكمة، وهذا عين الجهل، بل الحكمة كل الحكمة: في هذا التفاوت العظيم الواقع بينها، وليس في خلق كل نوع منها تفاوت، فكل نوع منها ليس في خلقه من تفاوت، والتفاوت إنما وقع بأمور عدمية، لم يتعلق بها الخلق، وإلا فليس في الخلق من تفاوت»(١).

وإن قيل فإبليس شر محض، فيقال إن في خلقه من الحكم ما لا يعلمه إلا الله تعالى، يقول ابن القيم: «قيل في خلق إبليس من الحكم والمصالح والخيرات التي ترتبت على وجوده ما لا يعلمه إلا الله...فالله سبحانه لم يخلقه عبثاً ولا قصد بخلقه إضرار عباده وهلاكهم، فكم لله في خلقه من حكمة باهرة، وحجة قاهرة، وآية ظاهرة، ونعمة سابغة، وهو إن كان للأديان والإيمان كالسموم للأبدان ففي إيجاد السموم من المصالح والحكم ما هو

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٤٨).

خير من تفويتها»[١]. وقد ذكر العديد من هذه الحكم؛ منها:

١-قدرة الخالق جل وعلا على خلق المتضادات.

٢-ظهور آثار أسمائه القهرية؛ مثل: القهار، المنتقم، والعدل، والضار، وشديد العقاب، والمذل، فإن هذه الأسماء والأفعال كمال، فلا بد من وجود متعلقها، ولو كان الخلق كلهم على طبيعة الملَك، لم يظهر أثر هذه الأسماء.

٣-ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه، ومغفرته وستره، وتجاوزه عن حقه.

٤-حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت، ولكان الحاصل بعضها لا كلها. ومنها عبودية الجهاد وتوابعها مثل المحبة والبغض في الله تعالى، وإيثار محاب الرب جل وعلا على محاب النفس، ومنها عبودية التوبة، ومخالفة عدوه ومراغمته في الله جل وعلا، وإغاظته فيه، وأن يُتعبد له بالاستعاذة من عدوه، وحصول الخوف والحذر من قبل العبد إذا رأى ما حل بعدوه بمخالفته، وسقوطه إلى المرتبة الشيطانية.

٥-ظهور كثير من آياته وعجائب صنعه، حصل بسبب وقوع الكفر والشر من النفوس الكافرة الظالمة، كآية الطوفان، وآية الريح، وآية إهلاك ثمود وقوم لوط، وآية انقلاب النار على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ برداً وسلامـاً، وغير ذلك.

٦-أن خلق الأسباب المتقابلة التي يقهر بعضها بعضا، هو من شأن

---

(١) شفاء العليل (٣/ ٩٩٨).

كمال الربوبية، والقدرة النافذة، والحكمة التامة، والملك الكامل، وإن كان شأن الربوبية كاملاً في نفسه، ولو لم تخلق هذه الأسباب، لكن خلقها من لوازم كماله وملكه، فظهور تأثيرها وأحكامها في عالم الشهادة تحقيق لذلك الكمال، وموجب من موجباته[١].

ولو قال قائل: فهل كان يمكن وجود تلك الحِكَم بدون هذه الأسباب؟

فالجواب عن ذلك بيّنه ابن القيم في قوله: «هذا سؤال باطل؛ إذ هو فرض وجود الملزوم بدون لازمه، كفرض وجود الابن بدون الأب، والحركة بدون المتحرك، والتوبة بدون التائب»[٢].

وقد ذكر هذا المعنى كثير من أهل العلم، يقول الشيخ العثيمين: «إن الشر لا ينسب إلى الله، قال النبي ﷺ: «والشر ليس إليك»، فلا ينسب إليه الشر لا فعلاً ولا تقديراً ولا حكماً، بل الشر في مفعولات الله لا في فعله، ففعله كله خير وحكمة، فتقدير الله لهذه الشرور له حكمة عظيمة...»[٣]. كما ذكر هذا المعنى للحديث طائفة من أهل الكلام[٤].

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٤٤-١٤٧). وانظر ما جاء في كتاب: الإيمان بالقضاء والقدر (١٤٧) وما بعدها. الدكتور/ محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٤٧).

(٣) القول المفيد (٣/ ٢٢٣).

(٤) يقول النووي في هذا المعنى: «والشر ليس شراً بالنسبة إليك، فإنك خلقته لحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين». المجموع شرح المهذب (٣/ ٤٠). وانظر: أسنى =

المطلب الخامس

قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»؛ أي أن الشر لا يُتقرب به إليك، ولا يصعد إليك

مما ذكره العلماء في بيان المعنى المراد من الحديث النبوي «والشر ليس إليك»: أي أن الشر لا يُتقرب به إليك، وليس مقرَّباً إليك، وإنما يُتقرَّب إليك بفعل الخيرات، والأعمال الصالحة، ولا يعزب عن البال أن فاعل الذنب والشر يقرُّ بهذا، فلو سُئلَ وقيل له: هل تتقرب بهذا الفعل إلى الله تعالى؟! كان جوابه بالنفي. ثم إن غير الله تعالى قد يُتقرب إليه بالشر كسباً لوده، ورغبة فيما عنده، كحال الكفرة الطغاة وزبانيتهم.

يقول شيخ الإسلام: «ومن هنا يعرف قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «والشر ليس إليك»، فإن الله إليه المنتهى من جهة إلهيته، والشر لا ينتهي إليه، ولا يصعد إليه، ولا يصل إليه، ولا يحبه، ولا يرضاه، فهو قطع له من جهة الألوهية، وهذا نحو قول من قال لا يتقرب به إليك»[1].

ويقول ابن أبي العز[2]: «هذا إشارة إلى عظم جلاله وعزة سلطانه، من

=

المطالب (١/ ٤٢٣). الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ٣٠٦). مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/ ٣٦٨).

(١) المجموعة العلية (٢/ ١٤٩)،تحقيق الدكتور/ هشام بن إسماعيل الصيني، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية.

(٢) العلامة علي بن علي بن أبي العز، ولد سنة ٧٣١هـ، ومات سنة ٧٩٢هـ، من مؤلفاته:
=

جهة أن الملوك بأسرهم غالب التقرب لهم بالشرور وإيثار أغراضهم على سائر الأغراض، والله سبحانه وتعالى -لسعة رحمته ونفوذ مشيئته- لا يتقرب إليه بشر، بل هو سبب إبعاد، فالتقدير في الحديث: والشر ليس مقرباً إليك»[1]. وذكر القرافي[2] قريباً من هذا، وقال: «وهذا معنى حسنٌ جميل يحمل اللفظ عليه...»[3].

وعن النضر بن شُميل[4] أنه قال في هذا الحديث «والشر ليس إليك»: لا يُتقرب بالشر إليك[5]. وذكر هذا غير واحد من أهل العلم[1].وذكر غير واحد

=

الهداية، الاتباع. انظر: شذرات الذهب(٦/ ٣٢٦). ومقدمة شرح الطحاوية (١/ ٦٧).

(١) نقله عنه السيوطي في شرحه لسنن النسائي: سنن النسائي بشرح السيوطي (٢/ ٤٦٧)، حققه مكتب تحقيق التراث الإسلامي، الطبعة الثامنة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٢) شهاب الدين أحمد بن إدريس الفقيه الأصولي المالكي، ولد سنة ٦٢٦هـ، ومات سنة ٦٨٢هـ. له العديد من المؤلفات؛ منها: الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، الذخيرة، انظر: الوافي بالوفيات (٦/ ٣٨٢-٣٨٣) لخليل بن أيبك الصفدي، حققه: جلال الأسيوطي، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ومقدمة كتاب الفروق (١/ ٢٠)، وما بعدها.

(٣) الفروق (٢/ ١٦٤).

(٤) الإمام العلامة، الحافظ، النحوي، ولد حوالي سنة ١٢٢هـ، ومات سنة ٢٠٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٢٨-٣٣٢).

(٥) فضائل الصحابة ج٢ ص٦٩٦ [١١٨٩]. شرح مشكل الآثار (٤/ ٢٢٣). وذكره بسنده إليه إجازة. للطحاوي، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، الطبعة
=

منهم أيضـاً أن الخليل بن أحمد سئل عن هذا، فقال: «معناه: ليس ذلك مما يتقرب به إليك، كقولهم: أنا منك وإليك، أي: معدود من جهتك ومنتم إليك»(٢).

والمقصود أن هذا المعنى(أن الشر لا يُتقرب به إليك) ذكره غير واحد من أهل العلم(٣).

وقد يقول قائل: إن الإمام ابن القيم قال: «ولا يلتفت إلى تفسير من

=

الثالثة،١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا.

(١) انظر: السنن الكبير (٣/ ٣٨٣). تحقيق: الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، الرياض، السعودية. وانظر: الاعتقاد (١٦٨). وقال محققه: إسناده صحيح. القضاء والقدر (٢٧٦). للبيهقي، رقم الأثر (٤٠٠). المجموع شرح المهذب (٣/ ٤٠).

(٢) الشافي في شرح مسند الشافعي (١/ ٣٥٦). وانظر: جامع الأصول (٣/ ١٣٩). معالم السنن (١/ ٢٨٣).

(٣) ذكر النووي وغيره، أنه قول: الخليل بن أحمد، والنضر بن شميل، وإسحق بن راهويه، ويحيى ابن معين، وأبو بكر بن خزيمة، والأزهري وغيرهم. انظر: المجموع شرح المهذب (٣/ ٤٠). مسلم بشرح النووي (٦/ ٣٠٦). عون المعبود (٢/ ٣٢٩). معالم السنن (١/ ١٠٧). وانظر: مشكل الآثار(٤/ ٢٢٢). مشارق الأنوار (٢/ ٤١٧).

وانظر: صحيح ابن حبان (٥/ ٧٣). مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/ ٣٦٨). الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ٣٠٦). ويقول السندي: «إن الشر ليس قربـاً إليك، ولا يتقرب به». حاشية السندي على سنن النسائي: سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي (٢/ ٤٦٨). أسنى المطالب (١/ ٤٢٣).

فسره بقوله: والشر لا يتقرب به إليك، أو لا يصعد إليك، فإن المعنى أجل من ذلك، وأكبر وأعظم قدراً»(١).

فيقال له: إن الإمام ابن القيم لم يقل: إن هذا المعنى باطل، وإنما أراد أنه لا يتحقق كل ما يجب من تنزيه للإله -جل وعلا- إذا فُسّر الحديث بهذا المعنى دون غيره، فقال: «إن هذا الذي قالوه إنما يتضمن تنزيهه عن صعود الشر إليه والتقرب به إليه، فلا يتضمن تنزيهه في ذاته وصفاته وأفعاله عن الشر، بخلاف لفظ المعصوم الصادق المصدَّق، فإنه يتضمن تنزيهه في ذاته تبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه بوجه ما، لا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه»(٢). ولهذا فلا يُعد هذا القول رداً لتفسيره بهذا المعنى؛ لما يلي:

١- أنه لا يوجد في النصوص ما يعارضه أو يبطله.

٢-أنه معنى لا يحتمل السوء ولا الخطأ، وما من مانع يمنع من اعتباره أحد الوجوه في المقصود من الحديث.

٣-أن هذا القول ورد عن بعض الأئمة، وهم أرادوا بذلك أن مما يُقال في معناه: لا يُتقرب بالشر إليك، ولم يقولوا: إنه لا يحتمل غير هذا المعنى.

٤-أن كلام ابن القيم يُحمل على من قصره على هذا المعنى دون أن يضم إلى غيره من المعاني.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٨).

(٢) بدائع الفوائد(٢/ ٧٢٤).

وإذا كان الأمر كذلك؛ أي أن الشر لا يتقرب به إليه جل وعلا، فإنه لا يصعد إليه، فهو سبحانه طيب لا يقبل إلا طيباً، ولذلك ورد عن بعض أهل العلم قولهم: إن معنى قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»: والشر لا يصعد إليك، إنما يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح[١]. يقول القاضي عياض: «وقيل: لا يصعد إليك، وإنما يصعد إليك الكلِمُ الطيب؛ أي إلى مستقر الأعمال الطيبة من عليين، وسدرة المنتهى، وحيث جعلت مستقر كتبها»[٢]. ويقول زكريا الأنصاري: «وقيل: لا يصعد إليك، وإنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح»[٣]. ويقول السيوطي: «وقيل: معناه: الشر لا يصعد إليك، وإنما يصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح»[٤].

وذكر هذا المعنى غير واحد[٥]، وبعد ذكر بعض أقوال أهل العلم في المعنى المراد من قوله ﷺ «والشر ليس إليك»، يتبيّن بطلان قول المعتزلة وتهافته، وهو قول ينزه عنه العقلاء.

وخلاصة ما سبق أن يقال: ليس هناك ما يمنع من حمل الحديث على كل هذه المعاني، مع الاعتقاد الجازم أن الله تعالى خالق كل شيء، بما في

(١) مسلم بشرح النووي (٦/ ٣٠٦). المجموع شرح المهذب (٣/ ٤٠). عون المعبود (٢/ ٣٢٩).

(٢) مشارق الأنوار (٢/ ٤١٧).

(٣) أسنى المطالب (١/ ٤٢٣).

(٤) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ٣٠٦).

(٥) انظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/ ٣٦٨). مرقاة المفاتيح (٢/ ٤٩٣).

ذلك أفعال العباد خيرها وشرها.

وهذا مقتضى الآيات الكريمة التي جاءت ببيان أن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك الشر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: ١ – ٥]. فأمر الله نبيه بالاستعاذة من الشر فدل على أنه مخلوق[١]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥][٢].

وكذلك يؤيده الأحاديث النبوية التي ذكرت وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، وأنه كله من الله تعالى، ومن ذلك أيضـًا حديث الاستخارة، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله ﷺ يُعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يُعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهمَّ إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقُدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدرُ، وتعلمُ ولا أعلمُ وأنت علام الغيوب. اللهم إن كُنتَ تعلمُ أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري –أو قال: عاجل أمري وآجله– فاقدرهُ لي ويسرهُ لي، ثم بارك لي فيه. وإن كُنت تعلمُ أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني

(١) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٢/ ٤٤٩)، يحي بن أبي الخير العمراني، دراسة وتحقيق الدكتور/سعود بن عبدالعزيز الخلف، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، أضواء السلف، الرياض، السعودية.

(٢) انظر: الانتصار (٢/ ٤٤٨).

ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: في عاجل أمري وآجله- فَاصْرِفهُ عني واصرفني عنهُ، واقْدُر لي الخيرَ حيثُ كان، ثم أرضني به» قال: «ويسمي حاجته»[١].

وفيه أن الله تعالى هو الذي يخلق الشر، وهو القادر على صرفه عن عبده، ولو كان العبد هو خالق الشر، لما احتاج أن يسأل الله تعالى صرفه عنه، ويسأله تقدير الخير له، وكيف يكون خالقًا له، وهو عاجز عن صرفه عن نفسه!

يقول ابن بطال[٢]: «وفي هذا الحديث حجة على القدرية الذين يزعمون أن الله تعالى لا يخلق الشر، تعالى الله عما يفترون، وقد أبان النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الحديث أن الله تعالى هو المالك للشر والخالق له؛ إذ هو المدعو لصرفه عن العبد، ومحال أن يسأله العبد أن يصرف عنه ما يملكه العبد من نفسه، وما يقدر على اختراعه دون تقدير الله عليه»[٣].

ويقول ابن حجر[٤]: «قوله: «فاصرفه عني واصرفني عنه» فيه دليل لأهل

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، البخاري مع فتح الباري (٣/ ٥٧٦- ٥٧٧). حديث رقم (١١٦٢).

(٢) أبو الحسين علي بن خلف بن بطال البكري، له كتاب في الزهد والرقاق، كانت وفاته سنة ٤٤٤هـ. انظر: ترتيب المدارك (٣/ ٦٥٤).

(٣) شرح صحيح البخاري (١٠/ ١٢٣). الطبعة الثالثة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، مكتبة الرشد، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، الرياض، السعودية.

(٤) الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني، ولد بمصر سنة ٧٧٣هـ، ومات سنة ٨٥٢هـ. انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٢/ ٣٣-٣٦).

السنة أن الشر من تقدير الله على العبد؛ لأنه لو كان يقدر على اختراعه لقدر على صرفه ولم يحتج إلى طلب صرفه عنه»(١).

وبهذا يظهر فساد قول القدرية: إن الله تعالى لا يخلق أفعال العباد؛ لأن في أفعالهم القبيح والجور والظلم والشرور، ومما يزيد في بيان بطلان قولهم وتهافته، كثرة اللوازم الباطلة التي لزمت منه، والآثار الفاسدة التي نتجت عنه. فهو يفضي إلى الشرك بالله تعالى، وترك الاستعانة به، ونسبة العجز إليه، فقولهم باطل لا حجة لهم عليه، فتعالى الله عن قول المشركين علواً كبيراً. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٥٩ – ٦٤].

---

(١) فتح الباري (١٤/ ٤٢٢).

الخاتمة

الحمدُ لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطنـاً، الحمدُ لله الذي بفضله وقدرته ومشيئته تتم الصالحات، لا يكون إلا ما أراد، ولا يقع إلا ما شاء، وصلى الله وسلم على خير الأنبياء، وإمام الأصفياء، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الأتقياء. ومما سبق عرضه يمكن القول:

أولاً: أن مذهبَ سلف الأمة ومن تبعهم إثبات القدر، والاعتقاد الجازم بأنه كله من الله تعالى خيره وشره، حلوه ومره.

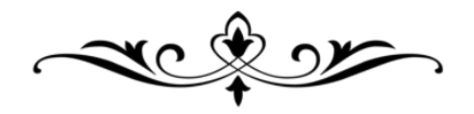
ثانيـًا: أن ضلال القدرية في هذه المسألةِ وغيرها من مسائل العقيدة يعودُ إلى عدم الأخذِ بالنصوصِ الشرعية، واعتمادهم على ما يسمونه: الدلائل العقلية. وحقيقتها أهواء وضلالات، فإنه لا تعارض بين العقل والنقل.

ثالثـًا: أن هذا القول بنفي خلق أفعال العباد ومنها الشر = ليس مما أحدثه القدرية من المعتزلة وغيرهم، بل قالت به بعض الطوائف من الأمم السابقة وعلى رأسها المجوسية الفارسية، ولهذا كانت القدرية في تاريخ المسلمين مجوس هذه الأمة؛ لقولهم بقول أولئك ومشابهتهم لهم.

رابعـًا: أن كل ما يذكره القدرية من أدلة ويزعمون أنها تؤيد مذهبهم هذا، لا حجة لهم فيها، ووجه استشهادهم بها على باطلهم مردود متهافت.

خامسـًا: أن قول القدرية هذا نتج عنه كثيرٌ من اللوازم الباطلة والآثار الفاسدة.

سادسًا: أن بعض أهل الكلام وافقوا أهل السنة والجماعة في بيان المعنى المراد من الحديث، ولكن هذه الموافقة لا تعني موافقتهم في بقية مسائل القدر كما يراه أهل السنة من السلف الصالح ومن تبعهم.



المراجع

١- الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق الدكتورة / فوقية حسين محمود، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، دار الأنصار، مصر.

٢- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: عبد الرحمن فهمي الزواوي، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

٣- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، دار الخير للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤- أديان العالم، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٥- الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، الدكتور / إبراهيم محمد إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م، مطبعة الأمانة، شبرا، مصر.

٦- آراء الكلابية العقدية، هدى الشلالي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، الرياض، السعودية.

٧- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي الجويني، علق عليه زكريا عميرات، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٨- أسنى المطالب شرح روض الطالب، لأبي يحيى زكريا بن محمد

الأنصاري، ضبط نصه وخرج أحاديثه الدكتور / محمد محمد تامر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩- إشارات المرام من عبارات الإمام، لكمال الدين البياضي، حقق نصوصه يوسف عبد الرازق، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

١٠- أصول الدين، لعبد القاهر البغدادي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، تحقيق/ لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

١١- الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، السعودية، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٢- اعتقاد أهل السنة، لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، تحقيق: جمال عزون، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

١٣- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للبيهقي، حققه وعلق عليه أحمد بن إبراهيم أبو العينين، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

١٤- الأعلام، لخير الدين الزركلي، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

١٥- الأفستا، إعداد الدكتور / خليل عبد الرحمن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م، روافد للثقافة والفنون، دمشق، سوريا.

١٦- أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان، جمع ودراسة وتحقيق: عبد العزيز بن عبد الله المبدل، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، دار التوحيد للنشر، الرياض، السعودية.

١٧- الإمام زيد بن علي المفترى عليه، لشريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، المكتبة الفيصلية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، دون ذكر لرقم الطبعة.

١٨- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحي بن أبي الخير العمراني، دراسة وتحقيق الدكتور / سعود بن عبدالعزيز الخلف، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، أضواء السلف، الرياض، السعودية.

١٩- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، لأبي بكر بن محمد الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٢٠- الإيمان بالقضاء والقدر، للدكتور/ محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٢١- الإيمان، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦ م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٢٢- بحر الكلام، لأبي المعين النسفي، دراسة وتعليق الدكتور/ ولي الدين محمد صالح الفرفور، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، دار الفرفور للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

٢٣- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية.

٢٤- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: أحمد بن علي، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م، دار الغد الجديد للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

٢٥- تاج العروس، للزبيدي، وضع حواشيه الدكتور/ عبد المنعم خليل إبراهيم، كريم سيد محمد محمود، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٦- التبصير في الدين، لأبي المظفر الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٢٧- التبصير في معالم الدين، لابن جرير الطبري، تحقيق وتعليق علي بن عبدالعزيز الشبل، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

٢٨- تجريد التوحيد المفيد، للمقريزي، تحقيق صبري سلامة شاهين،، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، دار القبس للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٢٩- التحرير والتنوير، لابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٣٠- تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ضبطها وصححها، خالد عبد الغني

محفوظ، الطبعة الثانية، ٢٠١١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣١- تذكرة الحفاظ، للذهبي، وضع حواشيه زكريا عميرات، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٢- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض بن موسى، تحقيق الدكتور/ علي عمر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

٣٣- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق الدكتور/ عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٣٤- التعليق على صحيح مسلم، لمحمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

٣٥- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الدعوة، توزيع مكتبة الحرمين، الرياض، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٣٦- التفسير القيم، لابن قيم الجوزية، جمع وإعداد محمد أويس الندوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر.

٣٧- التفسير الكبير، للرازي، مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، بيروت، لبنان.

٣٨- التمهيد في أصول الدين، للنسفي، تحقيق وتعليق الدكتور / عبد الحي قابيل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، القاهرة، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة.

٣٩- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤٠- تهذيب اللغة، للأزهري، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤١- التوحيد، لأبي منصور الماتريدي، حققه وقدم له الدكتور / فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٤٢- جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، لابن الأثير، حقق نصوصه عبد القادر الأرناؤوط، ومساعدوه، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

٤٣- جامع العلوم والحكم، لابن رجب، تحقيق الدكتور / محمد الأحمدي أبو النور، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر.

٤٤- جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية.

٤٥- جمهرة اللغة، لابن دريد، علق عليه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٦- الحجة في بيان المحجة، للأصبهاني، تحقيق: محمد بن محمود أبو

رحيم، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٤٧- الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة، لمحمد بن عمر بحرق،. الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٨- الحسنة والسيئة، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: عادل شوشه، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، المنصورة، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة.

٤٩- الخلاصة النافعة، لأحمد بن محمد الرصاص، تحقيق: إمام حنفي سيّد عبد الله، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

٥٠- الخلاف العقدي في باب القدر، للدكتور/ عبد الله بن محمد القرني، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، بيروت، لبنان.

٥١- خلق أفعال العباد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: سالم بن أحمد السلفي، محمد السعيد الإيباني، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة.

٥٢- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق الدكتور / محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٥٣- دراسات في الأديان الوثنية القديمة، أحمد علي عجيبة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

٥٤- الدرة فيما يجب اعتقاده، لابن حزم، تحقيق الدكتور / أحمد بن ناصر

الحمد، والدكتور / سعيد بن عبد الرحمن القزقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، مكتبة التراث، مكة المكرمة، السعودية.

٥٥- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٥٦- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، محمد عدنان درويش، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٥٧- رسائل القاسم بن إبراهيم الرسي، تحقيق ودراسة: إمام حنفي عبد الله، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

٥٨- رسائل وفتاوى شيخ الإسلام، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، حققه وعلق على حواشيه، محمد رشيد رضا، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

٥٩- السنة، لعبد الله بن الإمام أحمد، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وآثاره: أحمد بن علي الرياشي، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، دار النصيحة، المدينة النبوية، السعودية.

٦٠- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وآثاره: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، دون ذكر لتاريخها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٦١- السنن الكبير، للبيهقي، تحقيق الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م،

الرياض، السعودية.

٦٢- سنن النسائي بشرح السيوطي، حققه: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، الطبعة الثامنة، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٦٣- سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب، حكم على أحاديثه: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٦٤- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٦٥- الشافي في شرح مسند الشافعي، لابن الأثير، تحقيق: عامر عبد الباسط الجزار، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، / ٢٠٠٨م، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر.

٦٦- شذرات الذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٦٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، القاهرة، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة.

٦٨- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق الدكتور / عبد الكريم عثمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، مكتبة

وهبة، القاهرة، مصر.

٦٩- شرح السنة، للبربهاري، تحقيق/ خالد بن قاسم الردادي، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٧٠- شرح السنة، للمزني، دراسة وتحقيق جمال عزون، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، السعودية.

٧١- شرح العقائد النسفية، للتفتازاني، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، حققه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

٧٢- شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز، حققه وعلق عليه الدكتور / عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٧٣- شرح المواقف، لعلي بن محمد الجرجاني، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧٤- شرح توحيد الصدوق، لسعيد بن محمد القمي، صححه وعلق عليه الدكتور / نجفقلي حبيبي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، طهران.

٧٥- شرح ثلاثة الأصول، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.

٧٦- شرح جوهرة التوحيد، لإبراهيم بن محمد البيجوري، الطبعة الأولى،

١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧٧- شرح حديث لبيك اللهم لبيك، لابن رجب، تحقيق الدكتور/ الوليد بن عبد الرحمن آل فريان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية.

٧٨- شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ضبط نصه وعلق عليه: ياسر ابن إبراهيم، الطبعة الثالثة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، مكتبة الرشد، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، الرياض، السعودية.

٧٩- شرح مشكل الآثار، للطحاوي، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة،١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا.

٨٠- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لمحمد بن بطة العكبري، تحقيق وتعليق الدكتور / رضا بن نعسان معطي، المكتبة الفيصلية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، مكة المكرمة، السعودية. دون ذكر لرقم الطبعة.

٨١- الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق ياسر برهامي، دار البصيرة، الإسكندرية، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٨٢- شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم، الدكتور عبد المتعال الجبري، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

٨٣- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق ودراسة الدكتور/ أحمد بن

صالح بن علي الصمعاني، والدكتور/ علي بن محمد ابن عبد الله العجلان، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٨٤- صبح الأعشى، للقلقشندي، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٨٥- الصحاح، للجوهري، اعتنى به خليل مأمون شيحا، الطبعة الرابعة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٠م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٨٦- الصحائف الإلهية، للسمرقندي، حققه وعلق عليه الدكتور / أحمد عبد الرحمن الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مكتبة الفلاح، الكويت.

٨٧- صحيح ابن حبان، لابن حبان، بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا.

٨٨- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، مراجعة: محمد بن علي قطب، هشام البخاري، المكتبة العصرية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، بيروت، لبنان.

٨٩- صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٩٠- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، بشرح النووي المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م، مصر.

٩١- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، حققه وخرج أحاديثه الدكتور/ علي بن محمد الدخيل الله، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

٩٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩٣- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩٤- طريق الهجرتين، لابن قيم الجوزية، ضبط نصوصه جمال مرعشلي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.

٩٥- طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق وتقديم: عباس سليمان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م، دار الجيل، بيروت، لبنان.

٩٦- عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني، تحقيق الدكتور/ محمد زربان الغامدي، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية.

٩٧- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني، دراسة وتحقيق الدكتور / ناصر بن عبدالرحمن الجديع، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، دار

العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.
٩٨- العقيدة النظامية، لأبي المعالي الجويني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة.
٩٩- العقيدة للإمام أحمد بن حنبل، دراسة وشرح وتحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.
١٠٠- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي عبد الرحمن شرف الحق محمد أشرف الصديقي آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م،دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
١٠١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.
١٠٢- فتح الحميد في شرح التوحيد، لعثمان بن عبد العزيز التميمي، تحقيق الدكتور/ سعود العريفي، والدكتور / حسين السعيدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية.
١٠٣- فجر الإسلام، لأحمد أمين، الطبعة الحادية عشر، ١٩٧٥م، دون ذكر لدار النشر.
١٠٤- الفرق بين الفرق، للبغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد

الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٠٥- الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري، حققه: جمال عبد الغني مدغمش، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٠٦- فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، حققه وصي الله بن محمد عباس، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية.

١٠٧- القضاء والقدر، لجمال الدين الأفغاني، المطبعة المحمودية التجارية، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٠٨- القضاء والقدر، للدكتور/ عبد الرحمن المحمود، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مدار الوطن للنشر، الرياض، السعودية.

١٠٩- القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ١٩٩٧م، دار ابن الجوزي للطباعة والنشر والتوزيع، الدمام، السعودية.

١١٠- كتاب الاعتقاد، لأبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى، تحقيق وتعليق الدكتور / محمد بن عبد الرحمن الخميس، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

١١١- كتاب السنة، لابن أبي عاصم، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الألباني،

الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

١١٢- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور/ عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١١٣- كتاب القدر، لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي، تحقيق: عبد الله بن أحمد المنصور، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، دار أضواء السلف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

١١٤- كتاب القضاء والقدر، للبيهقي، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.

١١٥- الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق الدكتور /عدنان درويش، محمد المصري، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١١٦- كيد الشيطان لنفسه، لأبي الفرج عبد الرحمن الجوزي، ضمن مجموع، تحقيق أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١١٧- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، الطبعة الثانية، ٢٠١١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١١٨- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان.

١١٩- متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار، تحقيق الدكتور/ عدنان زرزور،

دار التراث، القاهرة، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٢٠- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، الرياض، السعودية.

١٢١- المجموع شرح المهذب، للنووي، ضبط نصه وعلق عليه: محمد بن رياض الأحمد، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

١٢٢- المجموعة العلية من كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لابن تيمية، تحقيق الدكتور/ هشام بن إسماعيل الصيني، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية.

١٢٣- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: أحمد بن علي، حمدي صبح، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، دون ذكر لرقم الطبعة.

١٢٤- المحصل، للرازي، تقديم وتحقيق الدكتور / حسين أتاي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

١٢٥- المحيط بالتكليف، للقاضي عبد الجبار، جمع حسن بن متوية، تحقيق عمر السيد عزمي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٢٦- مختار الصحاح، للرازي، ضبط: سميرة خلف الموالي، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٢٧- المختار من كنوز السنة النبوية، للدكتور/ محمد عبدالله دراز، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، السعودية، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٢٨- مختصر كتاب المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، اختصره وعلق عليه علي الشربجي، محيي الدين نجيب، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

١٢٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، القاهرة، مصر.

١٣٠- المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، للدكتور/عبد الرحمن عميرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار اللواء، الرياض، السعودية.

١٣١- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري، تحقيق: جمال عيتاني، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٣٢- مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابن هانئ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، طبعة ١٤٠٠هـ، بيروت، لبنان.

١٣٣- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جمع وتحقيق الدكتور/عبد الله بن سلمان الأحمدي، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

١٣٤- مسند أبي يعلى الموصلي، لأبي يعلى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان.

١٣٥- مسند الإمام أحمد، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، بيروت، لبنان.

١٣٦- مشارق الأنوار، للقاضي عياض، خرج أحاديثه: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٣٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد الفيومي، اعتنى به أحمد جاد، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

١٣٨- معالم السنن، للخطابي، تحقيق: سعد بن نجدت عمر، شعبان العودة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.

١٣٩- المعتقدات الدينية لدى الشعوب، لجفري بارندر، ترجمة الدكتور/ إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٣م.

١٤٠- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٤١- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، لمحمد بن محمد الشربيني، ضبط نصه وحققه، الدكتور/ محمد محمد تامر، شريف عبد الله، دار الحديث، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م، القاهرة، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة.

١٤٢- المغني في أبواب العدل والتوحيد، لأبي الحسن عبد الجبار، تحقيق: الأب ج. ش. قنواتي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٤٣- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٤٤- مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر.

١٤٥- مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، لابن فورك، تحقيق الدكتور/ أحمد عبد الرحيم السايح، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

١٤٦- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، ضبطه وخرج آياته: أحمد قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٤٧- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: محمد بن فتح الله بدران، أضواء السلف.

١٤٨- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٤٩- المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة،

الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار الفكر.

١٥٠- الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٥١- موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.

١٥٢- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، حققه وخرج أحاديثه الدكتور/ بشار عواد معروف، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار الغرب الإسلامي، تونس.

١٥٣- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للدكتور/ عبد الرحمن بن صالح المحمود، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

١٥٤- موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

١٥٥- نقد الخطاب السلفي، ابن تيمية نموذجا، لرائد السمهوري، الطبعة الثانية، ٢٠١٢، دار مدارك للنشر، دبي.

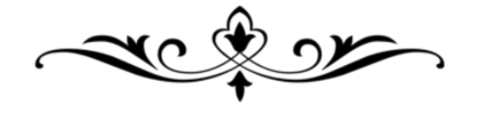
١٥٦- نهاية الأقدام في علم الكلام، حرره وصححه: الفرد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

١٥٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، بيروت، لبنان. دون ذكر لرقم الطبعة.

١٥٨- هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، ترجمة فليكس فارس، دار أسامة، دمشق، سوريا، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٥٩- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، حققه وعلق عليه: أبو عبد الله جلال الأسيوطي، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٦٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.



فهرس الموضوعات